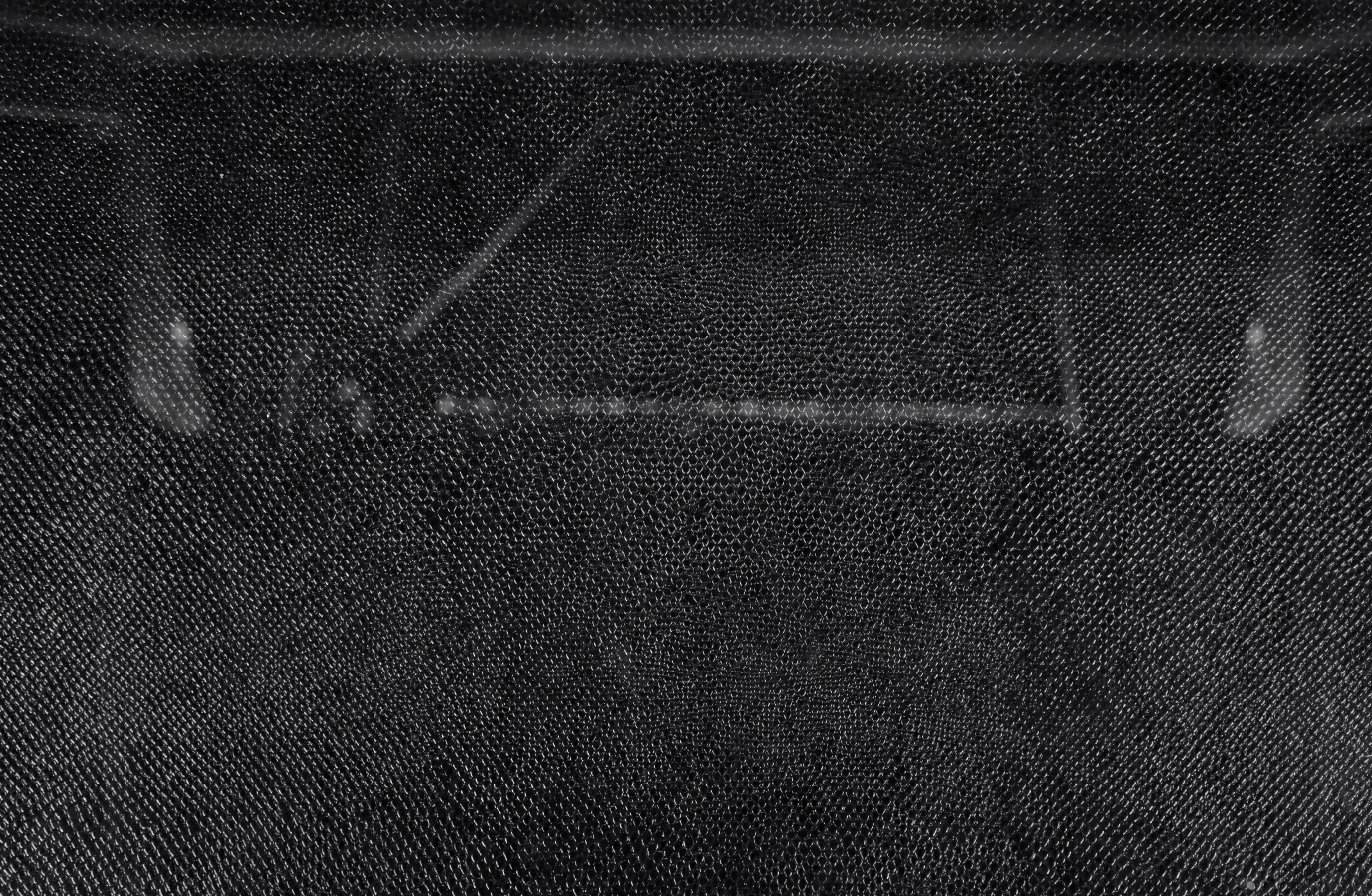

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ ܠܐܬܘܪܝܐ

History: Syriacs

Beth Mardutho Library

ܟܬܒ ܚܙ

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ ܕ ܐܠܦ ܘܟܠ ܡܢ ܕܝܢ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܢܒܥܐ ܕܗܢ ܟܬܒܐ ܠܡܩܪܐ ܘܠܡܟܬܒ ܘܠܡܫܬܡܫ ܒܗ
ܐܘ ܕܢܦܠ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܚܝܒ ܩܕܡ ܕܕܝܢ ܡܪܝܐ ܕܟܠ
ܒܪܢܫܐ ܐܝܟ ܕܓܢܒ ܒܝܬ ܩܕܫܐ ܘܢܗܘܐ ܡܫܬܡܫ ܒܗ ܠܥܠܡ
ܟܠ ܕ ܠܐ ܢܗܦܟ ܢܗܘܐ ܘܟܠ ܕ ܢܦܠ ܡܢܗ ܟܠ ܕ ܢܫܠܡ
ܒܟܦܠ ܘܒܬܪ ܟܦܠ ܐܝܟ ܕ ܓܢܒ ܡܢ ܒܝܬ ܩܕܫܐ ⁘

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

- ٢ -

بحث تاريخي

عن

السريان في القطر المصري

تأليف

القس اسحق ارمله

السرياني الكاثوليكي

(ظهرت في مجلة المشرق)

طبع

في مطبعة الآباء اليسوعيين

بيروت

سنة ١٩٢٥

تقدمة التأليف

الى حضرة الوجيه النبيل

الكومندور سليم افندي رباط المكرّم

اني لما جمعتُ هذه الآثار المثبتة ما كان من العلاقات بين شعبنا السرياني ونصارى القطر المصري لم اجد أَولى منَ جنابك ان اقدّم لهُ هذا البحث التاريخي وقد شرّفت أُسرتُك الكريمة القطرين السوري والمصري معاً وأولت الطائفة السريانيَّة مناً مشكورة وعوارف مذكورة. وامتازت بحرصها على المبادئ الدينيَّة. وأحرزت قصب السبق في مساعيها الخيرية. وقام فيها انام مشهورون بالتقى والغلوّ بالدين القويم والدفاع عنه بكل غيرة. اخصّهم شقيقكم الطيّب الذكر الاب انطون اليسوعي الذي هُصر غصن حياته الرطب في ١١ ايار ١٩١٣ بالاسكندرية وخلّف لعالم الدين والادب تركةً من نفثات قلمه تستوجب كلّ ثناء. وها هوذا الاب يوسف حنا رباط الورع الذي لا يزال يصرف المساعي الطيّبة في نشر لواء العبادة في حلب وطنه وفي غير ذلك من البلدان

وقد اسعدني الحظّ منذ شهور ان اتشرّف برؤيتك واتعرّف بحضرتك واجلس الى مائدتك يوم يمّمت الاسكندريّة في ايار الماضي

في خدمة مولانا المغبوط مار اغناطيوس افرام الثاني بطريركنا الجزيل الطوبى. فخطرت ببالي آنئذٍ عبارات المرتّل التي صحّت فيك وفي اسرتك المباركة ونصّها: «امرأتك مثل جفنةٍ مثمرة في جوانب بيتك. بنوك كفروع زيتون حول مائدتك ... ليبارك الرب من صهيون حتّى ... تنظر بني بنيك» (مز ١٢٧)

واني اسأل العزّة الصمديّة ان تمدّ في عمركم وتمتعكم باسرتكم دهراً طويلاً. وتبقيكم نبراساً يُستصبح بهِ، وموئلاً يُرجع اليهِ

القس اسحق ارملة
السرياني

تَوطِئَة

اقترح عليّ بعض الافاضل أخصّهم جناب الفيكونت دي طرّازي امين دار الكتب الكبرى ببيروت ان اكتب نبذةً تاريخيَّة في آثار السريان في القطر المصري ادوّن فيها ما خلّفوهُ هناك لعالم العلم والادب من المآثر وأُثبت ما رواهُ في هذا المعنى الكتبة القدماء لاسيما السريان والكلدان واليونان والعرب

ففكّرتُ اوّلًا في سَرْد ذلك التاريخ في الازمنة التي سبقت عهد السيد المسيح بانتشار الشعوب الآرامية ولغتهم الى بلاد بعيدة حتى وادي النيل . ثمّ أَجلتُ هذا البحث لوقت آخر وقصرتُ نظري على اخبار السريان في مصر بعد الميلاد وما دار بين القطرين من العلائق الخطيرة والصلات المتينة . ونحن نُطلق هنا لفظ السريان على الآراميين عموماً اي على عنصر السريان الشرقيين وهم الكلدان والسريان الغربيين الذين امتدُّوا خصوصاً في سوريَّة وما يجاورها من بلاد ما بين النهرين غربي الفرات . ولغة كلا العنصرين واحدة اي السريانية الشرقيَّة وهي الكلدانيَّة والسريانيَّة الغربيَّة . وهما لهجتان متقاربتان لكلّ منهما خواصّ تضاربت الآراء في أيّتهما الاصح والأفصح . وقد أَصبح اسم السريان بعد تنصُّرهم مرادفاً لاسم المسيحيين منهم وبقي اسم الآراميين دالًّا على الوثنيين بينهم

١ : ذكر علائق السريان الاولى مع المصريين

معلوم ان اوّل انتشار النصرانيَّة في عهد الرسل كان في فلسطين ثمّ في ما يجاورها من بلاد الشام ومصر وكانت العلائق بين سوريَّة ووادي النيل متواصلةً يوميَّة فلا عجب ان نرى قوماً من السريان نزلوا الى مصر فاستوطنوها في قرون النصرانيَّة الاولى كما هو الواقع في ايّامنا . وكذلك المصريُّون كانوا يقصدون فلسطين وسوريَّة لغايات دينيَّة او مدنيَّة . وقد ذكر سفر اعمال الرسل (٦ : ٩) الاسكندريّينَ واهل قيرينية

من جملة مضطهدي القديس استفانوس في اورشليم . وكذلك ذكر اوسابيوس القيصري سفر اوريجانس المعلّم مرّتين الى جهات الشام . وكان السريان ينقلون الى لغتهم اعمال علماء المصريين كما انَّ المصريين كانوا يستفيدون من اعمال السريان ولاسيما ترجمتهم للكتاب المقدّس المعروفة بالبسيطة التي نظر فيها اوريجانس وقد لقيها لدى امرأة ارملة على ما كتب اوسابيوس القيصري . روى ذلك ابن العبري في مقدّمتهِ على كتابهِ «كنز الاسرار»

٢ً : السيرة النسكيَّة بين المصريّين والسريان

يحقّ للبلاد المصريَّة ان تُباهي بلدان العالم طُرًّا بنشوء العيشة الرهبانيَّة فيها فكم الوفاً من النسَّاك والعبَّاد ظهروا فيها بعد القديس انطونيوس وعبَّقوا براريَها بعبير فضائلهم . قال مار يوحنَّا الذهبيّ الفم (١ : «لو قصدتَ يا هذا برّيَّة مصر في يومنا لوجدتَها تفوق الحدائق نضارةً بزهور قديسيها وجهور نسَّاكها . . فالسماء بنجومها وكواكبها اقلّ بهاء من مناسك مصر وصوامعها . والخبير بسالف عوائد المصريين اذا وقف على تبدُّل حالتهم اعتقد الاعتقاد التام بقوة السيد المسيح»

وما لبث ان اجتذب شذى فضائلهم عدداً من اهل سوريَّة فارتحلوا الى مصر وانتهوا الى الصعيد وعاينوا عجائب الله في سيرة اولئك الملتكة المتقمّصين بالجسد البالغ عددهم ألوفاً مؤلفة فانتظموا في سلكهم وتقلّدوا سيرتهم الفاضلة ثم عوّلوا على نشرها في بلادهم .

وكان الغرباء يقصدون تلك البراريَ المقدّسة من كلّ انحاء المعمور . على انَّ السريان هم من اوّل الذين ضاهوا المصريين بنسكهم وقشفهم وقد نقلوا شيئاً كثيراً من اخبارهم واذاعوها في بلادهم وأديارهم . اخصّها كتاب الآباء المصريين المعروف ببستان الرهبان للاسقف فلّد او پلّاديوس نقلهُ الى السريانيَّة في القرن السابع عنَيشوع السرياني النسطوري بمشورة جرجس الحاثليق . وقد نشر هذا الاثر المجيد الاب بُولس بيجان اللعازري سنة ١٨٩٧

---

١) اطلب كتاب بستان الرهبان . طبعة الاب بيجان (ص ٩٩٦ و ٩٩٧)

ومما جاء في الكتاب المذكور (ص ١٧٥–١٧٨) انَّ قوماً من السريان الاتقياء ارتحلوا الى القطر المصري ليتعرَّفوا بنسَّاكهِ ويتبرَّكوا منهم ومن جملتهم مار افرام الملفان المشهور فقال عنهُ ما ملخَّصهُ :

«سار مار افرام في الطريقة الروحية سلوكاً قويماً وآتاهُ الله تعالى موهبة العلوم الالهية والطبيعية . واشتهر باغاثتهِ فقراء الرها ابّان الغلاء وخلَّف تركة ثمينة لعالم العلم والدين» . وقد جاء في سيرة حياته (١ انهُ انطلق الى مصر مستفسراً عن الأنبا بيشاي . ولمَّا احتظى بمشاهدته اخذا يتفاوضان بالسريانية والقبطيَّة . واقام مار افرام في دير الانبا بيشاي اسبوعاً كاملاً ثم اخذ يطوف برّيَّة الصعيد مدة ثمانية اعوام يعلّم طريق الحقّ ويرشد الاريوسيين ليرعووا عن غيّهم ثم عاد الى الرها وطنه»

وتعهَّد برّيَّة الصعيد ميلسُ اسقف شوشن الشهيد (٢ فانهُ بعد ما حجّ الى اورشليم يمَّمَ الاسكندرية وزار اونوميوس تلميذ مار انطونيوس واستمرّ ثم سنتين ثم عاد الى بيت رُزَيق وطنهِ . وتعهَّد برّيَّةَ الصعيد ايضاً مارُ ميخا (٣ وانزوى في صومعة ضيقة مدَّة خمس عشرة سنة ثم سار الى طور سينا واورشليم ورجع الى المشرق ومرَّ بدير ماردين واستأنف المسير الى قرية القوش بالموصل حيث أسّس ديراً باسمهِ في ناحيتها الشرقيَّة .

ومن السريان الذين تعهدوا برّيَّة الصعيد وطورسينا ابرهيمُ الكبير النسطوري (سنة ٥٠٣–٥٨٨) الذي وُلد في قرية بكشكر ونصَّر في الحيرة خلقاً كثيراً ثم انطلق الى طورسينا وصعيد مصر وتلقَّن من رهبانه القوانين النسكية وعاد الى نصيبين وابتنى ديراً في جبل الإزل . وهو الذي صنَّف طقساً خصوصيًّا لحلق رؤوس الرهبان على هيئة اكليل تميزاً لهم من الرهبان السريان المنوفستيين وانشأ لهم سنة ٥٧١ قوانين نشرها الاب شابو في رومية سنة ١٨٩٨

ومنهم جنّي الكشكريّ والراهب حايا الكشكري ويوحنا مؤسس دير بنقل وقفريانس (٤ فهؤلاء وغيرهم حجّوا الى اورشليم وزاروا جبل سينا وتعهّدوا برّيّة

---

١) سير القديسين السريانيَّة . طبعة بيجان في ليبسيك (٣ : ٦٤٠)
٢) سير القديسين (٢ : ٣٦٥) ٣) سير القديسين (٣ : ٥٢٤)
٤) كتاب العفّة طبع الاب بيجان ص ٤٥٣ و٤٥٧ وتوما المرجيّ (طبعتهُ ص ٣٥٣)

الصعيد وتبرّكوا بأضرحة الاباء النسّاك المشهورين ثم عادوا الى اوطانهم

واورد توما المَرْجيّ النسطوري عن ماران زخا اسقف الحديثة (١ ما ملخّصه :
«انطلق يوماً ماران زخا الى جبل بقرية زيني فصادف شيخاً جليلاً يرعى الابل وسمعه يترنّم بانشودة عيد القيامة التي بدؤها « لمه صحم حصقدا بأمد صعقلم » فصوّت بهِ الاسقف وأوقفهُ وحيّاه بالسلام وتوسّل اليهِ ان يعرّفه أصله وفصله. فقال لهُ الشيخ بالعربية ما نصُّهُ : «قُمْ يا راهب ما لي ولك. مُرَّ بسلام من مكاني». قال لهُ الاسقف ماران زخا : اذاً كيف تعرف العربية؟ والحّ عليهِ في الجواب وألحفَ. فكشف لهُ الشيخ دخيلة أمره واوقفهُ على صحة خبرهِ قال: اعلم يا مولاي اني انتُخبت منذ اربعين سنة اسقفاً لشعبنا السرياني المنتشر في القطر المصريّ. ولمّا خرجتُ يوماً في جماعتي الى البريّة لنصلّي صلاة المطر ثار شذاذ العرب ووثبوا عليّ واستاقوني الى خِيَمهم وانهزمَتْ جماعتي عائدة الى مصر. امّا انا فما زلتُ منذ اذٍ ارعى الابل كما تراني حتى اليوم. فبكى ماران زخا واستودعهُ الله وانصرف. وعاد اليهِ في القابل متشوقاً الى مشاهدتهِ فألفاهُ قد مات فأخذ عباءتَيهِ وانقلب بهما الى الحديثة»

٣ : القديس اوجين والرهبان المصريّون بين السريان

ولعلّ ما رآهُ النسّاك المصريّون من إقبال السريان على الترهّب هو الذي دفع بعض اساطين الرهبنة في وادي النيل الى ان يقصدوا بلاد السريان لينشروا بينهم العيشة النسكيّة. واشهرُهم هو القديس اوجين المصري

كان اوجين تلميذ فاخوم من اكبر زعماء الرهبان في مصر (٢ فهجر وادي النيل في اختَيهِ تقلا واسطرطانيس وفي فئة من تلاميذه وارتحلوا الى بلاد المشرق يَدْعون الى النسك والزهد فنصّروا جمهوراً عديداً من الوثنيين وابتنوا اديراً عظيمة ذكرنا منها عدداً في مقالتنا «سياحة في طور عبدين» التي نشرناها في مجلة المشرق عام ١٩١٣ .

---

(١) توما المرجيّ (طبع الاب بيجان (١٣٠-١٣٩)
(٢) سير القديسين (٣ : ٣٨٦ طبع الاب بيجان)

وكان من جملة اولئك الرهبان مار شليطا المشهور (١ الذي اعتكف بادئ ذي بدء في دير مار فاخوم بمصر خمس سنوات ثم انزوى في احدى المغاور عشر سنوات ثم رافق اوجين الى جبل الإزل . ومنهم دانيال الطبيب (٢ المصريّ النحلة الذي ترهّب في دير مار فاخوم ايضاً عشر سنوات ثم شخص مع مار اوجين الى بلاد المشرق وشاد ديراً كبيراً على نهر معلثايا . ومنهم يونان القبرسي (٣ الطبيب النطاسي الذي ارتحل الى مصر واقام فيها خمس عشرة سنة ثمّ انضمّ الى مار اوجين وسار الى المشرق . ومنهم ملكي القلزمي المصري (٤ ابن اخت مار اوجين الذي أقبل مع خاله واليشع شقيقهِ الى جبل الازل وشاد فيهِ ديراً جليلاً ما برح حتى يومنا في حوزة السريان (المشرق ١٦[١٩١٣]: ٨٤٥) . ومنهم فولا المصريّ صاحب دير حبسناس بطور عبدين . ومنهم فنحاس صاحب دير حاح بطور عَبدين ايضاً الذي انضوى الى مار اوجين (٥ وقُتل شهيداً في فَنك وبُني على اسمه ديران . ومنهم ميخائيل واخته سيراس صاحبا دير مار ميخائيل جنوبي ماردين . ومنهم يعقوب الحبيس المصري صاحب دير صلح المشهور في طور عبدين (٦ الذي تكمّل في عهد وَهران (٤٢٠—٤٤٠) ولهُ عيد في ١٨ ايلول . ومنهم ابرهيم القبطي رئيس دير مار اوجين بجبل الازل († ٥٩٣) وخليفته ابرهيم الاورشليمي وسلّارا سنة ٦٤٣ (٧ وقس على هؤلاء المشاهير ثلاثمائة راهب مصري غادروا وطنهم الى طور عبدين وانقطعوا الى العبادة في دير قرتمين المعروف بدير العُمر فثار بهم الفرس واخذوا رؤوسهم قاطبة وما برح السريان يذكرونهم حتى اليوم ويستشفعون بصلواتهم

فممّا اوردناه يتّضح جليّاً تعرُّف السريان بالمصريين وامتزاج المصريّين بالسريان واختلاف بعض الفريقين الى ادبار البعض ومواصلاتهم المتواترة حتى القرن السادس . ونختم هذا الفصل بما ورد عن القديس بطرس الشهيد بطريرك الاسكندريّة فقد جاء في سيرة حياته (٨ انهُ جال في بلاد ما بين النهرين وزار سوريّة وفينيقيّة وفلسطين

١) سير القديسين (طبع بيجان ١ : ٤٢٦)
٢) سير القديسين (٤ : ٤٨٤)
٣) سير القديسين (١ : ٤٧٢)
٤) سير القديسين (٥ : ٤٢١)
٥) سير القديسين (٤ : ٣٠٨)
٦) المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٦٧٣)
٧) المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٨٤٩)
٨) سير القديسين (٥ : ٥٤٣)

كما يُستنتج من خطبتهِ البديعة التي قال فيها ما ملخصه : « تعرفون يا اخوتي كيف كان سلوكي معكم هذه المدة الطويلة وما تكبّدتُ من عبَدة الاوثان اذ كنت انتقل من مكان الى مكان وأجول في بلاد ما بين النهرين وسورية وفينيقية وفلسطين. وكنت أُواصلكم اذ ذاك بالرسائل لاثبتكم في الدين المسيحي... وقد كتبتُ جملة رسائل من بلاد ما بين النهرين الى الاساقفة المسجونين وهم : فيلاوس وهسوخيوس وفاخوم وثاودرس وشجّعتهم على احتمال النكال والعذاب » (١

٤ً : ظهور البدع في القطر المصري وامتدادها الى القطر السوري

لم يبقَ مسيحيّو مصر راسخين في مبادئ الايمان القويم وثابتين على التعاليم الرسولية والتقاليد الابوية التي أخذوها عن إمامهم مرقس الانجيلي وخلفائه الافاضل لكنهم تهوَّدوا في هواة البدع والشقاق وضلّوا سواءَ السبيل وخلعوا الطاعة للكرسي الروماني. فظهر فيهم سابيليوس وكان أَصلهُ من ليبيا بمصر وزعم باقنوم واحد للثالوث الاقدس ثمّ ابوليناريوس الاسكندري واذّعى بان الروح القدس أصغر من الابن وان الابن اصغر من الآب غير ان أَشهرَ الملحدين كان اريوس القس الاسكندري († ٣٣٦) الذي احدث الشقاق في بيعة الله فحرمهُ الآباء الـ ٣١٨ في المجمع النيقوي سنة ٣٢٥ وقرّروا ان ابن الله عزّ وجلّ مولود منذ الازل ونظموا قانون الايمان وأمروا باستعماله في الكنائس . وظلّت البدعة الاريوسيَّة ضاربةً أَطنابها في الاسكندريَّة قائمةً على ساق وقدَم في مصر وامتدَّت الى انحاء سوريَّة حتى ان الاساقفة الارثذكسيّين طُردوا من تلك الاقطار وأُقيم بدلًا منهم اساقفة صغار متهتّكون جرّدوا سيف سخطهم نحو المسيحيّين الارثذكسيّين واذاقوهم من الاهانات والحبوس والاضرار ألوانًا

وظلّت بدعة اريوس منتشرة في القطر المصري حتى ظهر نسطور بطريرك القسطنطينيَّة سنة ٤٢٨ واذاع هرطقته المشهورة التي شاعت في اصقاع المشرق فعقد الآباء مجمعاً في افسس سنة ٤٣١ وحرموه وننفاه ثاودسيوس الملك الى احد ديورة

---

١) تاريخ اوسابيوس ك ٩ ف ٦ ص ٥٢١

انطاكية ثم توجه الى مصر على ما روى اغلبُ المؤرخين الشرقيين اذ قالوا «بعد ما عُزل نسطور نُفي الى صعيد مصر». وقال الشيخ ابو صالح الارمني (ص ١٠٦): وقُبر نسطور المخالف الذي كان بطريرك القسطنطينية في مدينة أخميم منفيًا اليها بعد سبع سنين في سنة ٥٣١ (كذا) واذا مطرت المطر تحجب عن قبره ولا تنزل عليه ...» وروى ميخائيل الكبير (ص ١٧٥) وابن العبري في عهد يوحنا بطريرك انطاكية: «ان نسطور نُفي بأمر الملك الى مدية اودسيا بمصر». وقال ابن العبري في تاريخه المدني السرياني (ص ١٣٥): «اشتهر جبرائيل بن بختيشوع الطبيب النسطوري في عهد هرون الرشيد (٧٨٦–٨٠٩) واتفق ان احد النساطرة الذين زاروا مصر قال يوماً لجبرائيل المذكور: ان يعاقبة مصر يسخرون من نسطور ويرجمون قبره ويدَّعون ان المطر لا ينحدر عليه. فقصد جبرائيل الخليفة واستحصل منه رسالة الى صاحب مصر يوصيه ان يسعى بارسال عظام نسطور الى بغداد لتُدفن في كنيسة كوخي الكبرى»

وكتب المقريزي (ص ٤٨٨) ان نسطور نُفي الى صعيد مصر فنزل مدينة اخميم واقام بها سبع سنين ومات فدُفن بها» وأيد ذلك ابن العميد ايضاً في تاريخه (ص ٣٦ من نسختنا)

على ان بدعتي اريوس ونسطور ما لبثتا ان اندثرتا في القطر المصري وقامت مقامها البدعة المنوفستيَّة وانتشرت انتشاراً عظيماً وقويت شوكتها وما برحت قائمة في مصر حتى اليوم. وكان ديوسقورس منشئها (†٤٤٤) ومبتدعها يناضل عنها ويسعى في نشرها وتبعه في رأيه هذا الشعب السرياني في سورية وما بين النهرين ومذ ذاك اصبحت العلائق ما بين الاقباط والسريان موثقة العرى غير منفصمة. ولما عُزل سويرا بطريرك السريان الانطاكي توجه الى مصر عام ٥١٩ واقام فيها تسع عشرة سنة يطوف مع بعض الاساقفة ويجول من دير الى دير ويتنقل من مدينة الى مدينة حتى أتته المنون في ربض سكوت بالاسكندرية في ٨ شباط ٥٣٨ وقد ورد في المخطوطات السريانية انشودة يتداولها السريان اليعاقبة هذا شرحها: «يا مصر قومي رحبي بسويرا المنفي من بلده وافتحي له ابوابك واكنسي شوارعك ليدخل اليك ويطرد منك تعليم نسطور الوقح» لكن مصر لم ينلها خير كبير بشيوع بدعة ارطيخا بدلاً من نسطور

وبعد وفاة سويرا نصب السريان المنوفستيون يعقوب البرادعي اسقف الرها

مطراناً عمومياً فاخذ يطوف بلاد سوريّة يذيع فيها الزعم بالطبيعة الواحدة. ثم ارتحل الى وادي النيل ورسم بيده في الاسكندريّة فولا الحبشيّ بطريركاً للسريان (٥٤١—٥٧٥)

وكان فولا اسكندريّ الاصل وتلقّى العلوم في دير الجبّ الخارجي في انطاكية وأتقن اليونانيّة والسريانيّة. ولمّا رسم بيده ثاودورَ بطريركاً للاسكندرية امتعض المصريّون واستحضروا مطرانَين وارادوهما على نصب فطرا او بطرس الجاهل بطريركاً دخيلاً. فنجمت من جرى ذلك شرور عظيمة استغرقت ثمانية أعوام وأسفرت عن انقسام للمصريّين الى فرقتين فرقةٍ مشايعة لثاودور وفرقةٍ لفطرا وأفضى البغض بفطرا الى ان حرم فولا بطريرك انطاكية واسرع فرسم سبعين مطراناً في ايام معدودة ومات لثلاث سنين من بطريركيّته. اما اهل الاسكندرية فأصرّوا على رفض ثاودور البطريرك واقاموا دميانس السريانيّ النحلة بطريركاً عليهم وما كاد يتربّع في كرسيّه حتى حرم فولا بطريركَ انطاكية كما حرمهُ سالفُهُ ايضاً وعوّل على اقامة بطريرك عوضاً عنه. غير ان الاساقفة ثبّطوه عن انجاز أمنيّته. وفي تلك الغضون عاد يعقوب البرادعي ثالث دفعةٍ الى الاسكندريّة متحمّساً ومتحمّضاً يصحبه نوّابهُ وجماعة من الاساقفة اصحابهِ ونزلوا سنة ٥٧٨ في دير مار رومانس فتوفي بغتةً يوحنا اسقفُ قرتمين فسرجيسُ وكيل يعقوب فيعقوب فشمّاسهُ. على ان هؤلاء الاربعة وهم عمدة المنوفستيين عاجلتهم المنيّة في مدة عشرة ايام لا غير. وعلى اثر ذلك كتب دميانس السرياني ببطريرك الاسكندرية رسالة تعزية اوفدها الى اساقفة سورية وجماعتهم وحرّضهم على قبول البطريرك فولا الحبشي. ثم توجّه بنفسهِ الى انطاكية في اثنين من اساقفتهِ يريد ان يرسم سويرا الاشمونيّ بطريركاً للسريان في كنيسة مار بطرس غير انه لم يستطع الى ذلك سبيلاً فانقلب الى الاسكندرية خائباً

ثم كتب دميانس البطريرك الاسكندري رسالة الى بطرس الثلثيقي بطريرك السريان الانطاكي (†٥٩١) فيها دحض ارتقة يوحنا وفروبا وسأل بطرس البطريرك ان يؤيد قوله فأبى عليهِ ذلك. فاستشاط البطريرك دميانس غضباً وحنقاً عليهِ ولبثت المنازعات بينهما قائمةً على قدم وساق حتى وفاتهما. ولمّا تولّى بطريركيّة السريان اثناسيوس الجمّال (٥٩٥—٦٣١) عادت المياه الى مجاريها وحصل الاتفاق التامّ ما بين الكرسي

الاسكندري والانطاكي كما سترى. وعلى هذا الاسلوب تغلّب اليعاقبة على جميع كنائس مصر واقاموا بها منهم اساقفة. فارسل اليهم اهل بلاد النوبة في طلب اساقفة فبعثوا لهم . . فصار اهل النوبة من ذلك العهد يعاقبة(١ . وقد أيد ذلك ابن العبري في كلامهِ عن سرجيس التلّي(† ٥٤١) بطريرك السريان المنوفستيّين قال ما شرحه : « لم يكتفِ السريان بإذاعة مقالتهم في القطر المصري بل اوفدوا القس يوليان شماس ثاودسيوس بطريرك الاسكندريّة الى بلاد الحبشة فاذاع فيها بدعة الطبيعة الواحدة وبذر في القلوب البغضاء للمجمع الخلقيدوني وظلّ ثمّ سنتين يقصد الصهاريج ويعتمد الناس كل يوم من الساعة الثالثة الى العاشرة حتى تنصّر على يدهِ ملك الحبشة وأرباب دولتهِ وخضعوا باجمعهم للبطريرك الاسكندرني(٢ ». فاذا صُدّقت هذه الرواية كان الفضل في تنصّر الحبشة وإخضاعهم لبطريرك الاسكندريّة عائداً ايضاً الى السريان

٥ : كتبة السريان المنوفستيّين في القطر المصري

ولمّا تغلّبت المنوفستيّة في الاقطار المصريّة على ما وصفنا طفق ائمة السريان يتوافدون الى الاسكندريّة ليستقوا من مناهل مكاتبها الشهيرة ويُتقنوا فيها اللغة اليونانيّة وسائر العلوم الرياضيّة والتاريخيّة واللاهوتيّة. وقد تضلّع اغلبهم من هذه اللغة بحيث اننا لا نكاد نرى كاتباً سريانيًّا منوفستيًّا الّا ولهُ إلمام بها. واليك اسماء بعض الكتبة السريان الذين قصدوا تلك المدينة واستفادوا من أسفارها او قرأوا على علمائها

فمنهم اسطفان بَر صُدَيلي(٣ الرهاويّ الذي قصد مصر وتخرّج بالعلوم والمعارف ثم سار الى اورشليم وعاد الى وطنهِ وصنّف مقالات وشروحاً كثيرة ونقل كتاب هيروثاوس وما زالت ترجمتهُ مصونة في دار الكتب الكبرى بلندن وفي المكتبة الشرقيّة في بيروت . وهو الذي اشتهر بزعمهِ ان لعذابات جهنم نهايةً فدحض اوهامه العلّامة يعقوب السروجي (†٥٢١) وفيلكسين المنبجيّ († ٥٢٣)

---

١) الخطط للمقريزيّ (٢ : ٤٩٣)

٢) التاريخ الكنسيّ في حياة سرجيس التلّي

٣) ورد اسمهُ ميخائيل الكبير هكذا (...)

ويُروى انَّ آبا جاثليق السريان النساطرة (٥٣٦–٥٥٢) توجه في العلّامة توما الرهاويّ الى الاسكندرية ومصر حيث فسَّرا الكتبَ المقدسة وتلمذا جملةً من الوثنيين والمنوفستيين فضغن عليهما الاهالي وطردوهما

وجاء عن مارا اسقف آمد السريانيّ المنوفستيّ انهُ لما نُفي الى بلاد العرب سنة ٥١٩ سأل الملكة ثاودورا ان ينتقل الى الاسكندريَّة سنة ٥٢٦ فاكبَّ فيها على العلوم وفسَّر العهد الجديد وفيها قضى نحبهُ

وورد في مخطوط لندن (عدد ٨٥٢ ص ٩٠٧) ان فولا الاسقف السريانيّ المنوفستيّ الذي إشتهر سنة ٥٢٨ م ترجم الكتب المقدَّسة ونقلها من اليونانيَّة الى السريانيَّة وقيل بل انَّ فولا المذكور ترجم العهد القديم وتوما الحرقليّ ترجم العهد الجديد . ويُستفاد من مخطوط لندن (عدد٥٣) المنسوخ سنة ٧٠٣ م ان الكتاب المقدَّس نُقل عن الهكسبلة اليونانيَّة (١ الى السريانيَّة في شباط سنة ٦١٦ م في دير الانطونيين بقرية اناطون قريباً من الاسكندريَّة ذلك بامر البطريرك اثناسيوس († ٦٣١) ومشورته وفي عهد ثاودور رئيس الدير٢

وفي الاسكندريَّة ايضاً درس زكريَّا البليغ اسقف ملطية السريانيّ نحو سنة ٥١٥ وكان مولده في قريةٍ قريبة من غزَّة بفلسطين وقرأ النحو والفصاحة في الاسكندريَّة وزاول علم الشرع في بيروت وصنَّف تاريخاً سريانياً مهماً اقتطف منهُ مؤرخو السريان اخباراً كثيرة واتخذوهُ قاعدة لتأليف تواريخهم

وارتحل الى الاسكندريَّة توما الحرقليّ السرياني اسقف منبج واقام زماناً في دير الانطونيين حيث اكبَّ على تنقيح كتاب العهد الجديد سنة ٦١٦ (٢ وهذه الترجمة اشتهرت لدى السريان المنوفستيين واستعملوها في طقوسهم . واستصحب توما الحرقلي جملة من اساقفة السريان الى مصر واقاموا فيها مدَّةً ثمَّ عادوا الى كراسيهم (٣

---

١) الهكسبلة (Hexaple) كتاب لاوريجانس جمع فيهِ ستَّة نصوص من الاسفار المقدَّسة ليقابل بينها

٢) في المكتبة الاوغسطينيَّة برومية نسخة من هذا السفر ورد فيها ما شرحهُ : نُقل كتاب الاناجيل الاربعة بدقَّة من اليونانية الى السريانية في ايام فيلكسين اسقف منبج . وقابلتهُ انا توما بثلاث نسخ يونانية في دير الانطونيين بالاسكندريَّة العظمى سنة ٦١٦ م

٣) تاريخ ميخائيل الكبير (ص ٣٩١)

وقصد الاسكندريّة ايضاً يعقوب الرهاوي († ٧٠٨) المشهور وأتقن فيها اليونانيّة ثم عاد الى سورية وارتسم مطراناً للرها سنة ٦٧٧ ودرّس اليونانيّة في دير اوسيبونا بانطاكية احدى عشرة سنة

وتوجّه الى الاسكندرية ايضاً الربّان حنين بن اسحق († ٨٧٣) السرياني النسطوري وكان مولده في الحيرة وقصد بغداد وقرأ على يوحنّا بن ماسويه ثم ارتحل الى الاسكندرية وبرع في اليونانيّة حتى استسهل النقل منها الى السريانية ومن السريانيّة الى العربية وصنّف كتباً شتى أخصّها كتابه في الطب

وكان كتبة السريان وأدباؤهم يوفدون الى وجهاء الاسكندرية رسائل بالسريانيّة ليؤيّدوهم في المنوفستيّة. ومن جملتهم يعقوب السروجي العلّامة الذي كتب رسالة الى القمص باسا ورسالة الى قورا الرئيس والقمص على ما ورد في مخطوط لندن (عدد ٦٧٢ ص ٥٢٣) وهو يتضمّن احدى واربعين رسالة وستّ خطب صنّفها كلّها بالسريانيّة يعقوب السروجي المومأ اليه ونسخها يوسف الداراوي سنة ٦٠٣ م في برية الصعيد. وقد ورد في مخطوط لندن (عدد ٨٥٣ ص ٩٥٢) ذكر رسالة اوفدها بطريرك السريان (١ الى دير الانطونيّين والى ايسيدور وثاودور ورسالة أخرى اوفدها البطريرك عينه الى جماعة الاسكندرية

٦ اتحاد بطاركة السريان وبطاركة الاقباط ومراسلاتهم

ظلّت البطريركية الاسكندريّة وشقيقتها البطريركيّة الانطاكيّة في اوّل امرهما محافظتَين على عهودهما للبطريركية الرومانيّة مقرّتين بفضل منشئها مار بطرس الهامة مطيعتَين لخلفائه في الكرسي الروماني حتى ظهور البدعة المنوفستيّة في اواسط القرن الخامس وقد صرّح الاحبار الرومانيون برفعة شأن هذين الكرسيّين المجيدين فكتب اينوكنت الاوّل سنة ٤٠٩ الى اسكندر اسقف انطاكية « ان كرسيّك الانطاكي لم ينَلْ هذا الامتياز الفاخر الّا لانّ هامة الرسل تبوّأه اوّلاً (٢ »وكتب البابا جلاسيوس

١) لعلّه اثناسيوس الجمّال († ٦٣٠)

٢) مجموعة الآباء اللاتين لمين (٢٠ : ٥٤٨)

سنة ٤٩٤ : « ان الكرسي الثاني هو كرسي الاسكندريّة لان مرقس تلميذ بطرس قدّسهُ باسم سيّده العامة . . . اما الكرسي الثالث فهو الانطاكيّ لان بطرس الرسول جلس عليهِ قبل شخوصه الى رومية(١) » . وكتب القدّيس غريغوريوس الكبير بابا رومية الى ألوجيوس اسقف الاسكندرية : « ان بين اسقف رومية واسقفَي الاسكندريّة وانطاكية اتّحادًا وثيقاً لان بطرس الرسول اعتنى بانشائها فزيّنها وأعارها شيئاً من سموّ رتبتهِ فصارت هذه الكنائس الثلاث كالحبل المثلّث الغير المنقطع وغدا لها التقدُّم على جميع الكنائس (٢) »

وحبّذا لو بقيت هذه الكراسي الثلاثة ثابتة على الحبّ والوداد باجمعها (٣ غير ان عدوّ الخير والدين أبى إلّا ان يفصل الكرسيّ الاسكندري والانطاكي عن الكرسي الروماني فأصبح الكرسيّان متّحدَين قلباً وقالباً وصار بطاركتها يراسلون بعضهم بعضاً ولاسيما حين ارتقائهم الى الكرسي البطريركيّ تأييدًا لاتّفاقهم في بدعتهم . وبناء عليهِ اخذ بطاركة السريان الانطاكيّون منذ انفصالهم عن الكرسي الروماني يكتبون صورة ايمانهم ويرسلونها الى البطريرك الاسكندري ليؤيّدها . وقد أورد الشماس منسّي في تاريخه ما يصرّح بذلك فذكر (ص ٣٤٤) ان البطريرك يوحنا الثاني († ٥١٧) لمّا تولّى بطريركيّة الاسكندريّة تبودلت الرسائل بينه وبين سويرا الذي اشتهر بالتعصّب للطبيعة الواحدة . وكتب ديوسقورس الثاني († ٥٢٠) رسالة ايضاً الى سويرا فاجابه انهُ مشترك معه في الامانة (ص ٣٤٦) واقتصّ اثره تيموثاوس الثالث († ٥٣٦)

وكان فريق من بطاركة السريان يسير الى مصر لذلك السبب عينه . كذا صنع اثناسيوس الاوّل بطريرك السريان (٥٩٥–٦٣١) المعروف بالجمّال فانهُ لما بلغهُ ان انسطاس نُصب بطريركاً للاسكندريّة (٦٠٣–٦١٤) شخص اليه في خمسة من اساقفتهِ وزمرةٍ من قسوسهِ ورهبانهِ وحمل اليهِ التحف والهدايا فخرج البطريرك

---

١) مين (٥٩ : ١٧٠) ٢) مين (٧٧ : ٢٩١)

٣) بعد انفصال بطريرك السريان وبطريرك القبط المنوفستيّين عن الكرسي الروماني ظلّت طائفة كبيرة في كلتا الحاضرتين اعني في الاسكندريّة وانطاكية ثابتة في المعتقد الارثذكسي بطاركتها يراجع بطريرك رومية جريًا على تقاليد أسلافهم وعُرفوا منذ إذٍ ببطاركة الملكيّين

الاسكندري ماشياً في اكليرسهِ وتلقّاه بالتسبيح والفرح وحلّ البطريرك واصحابهُ ضيوفاً كِراماً عنده مدة اربعين يوماً. وكتب البطريركان كلاهما صكًّا صرّحا فيه باتّفاق البطريركيّتين في المعتقد المنوفستي وامضاه اوّلاً انسطاس واساقفته سنة ٦١٦ على هذه الصورة : « انسطاس برحمة الله اسقف الاسكندرية أُوافق على هذا الصكّ واثبت هذه التعاليم . . . واعتبركم يا اثناسيوس رئيس الكرسي الانطاكي أخاً روحيًّا وأُقسم لكم بيمين الشركة والاتحاد في الرأي . . . واختم هذا الصكّ انا واساقفتي » . وقد كتب نصّ هذا الصكّ بالسريانيّة ميخائيلُ الكبير في تاريخهِ (ص ٤٠٠) وعلى هذا المنوال تمّ الاتحاد والاتّفاق ما بين الكرسيّين واقام البطريركان واكليروسهما الصلاة معاً وتناولوا الاسرار المقدّسة وخطب فيهم البطريرك اثناسيوس خطبةً بليغة . ولمّا توفي انسطاس وولي بعده اندرونيقس اوفد الى البطريرك اثناسيوس المذكور رسالةً قرّر فيها الاتحاد ما بينهما

وبعد اندرونيقس تولّى بطريركيّة الاسكندريّة بنيامين الذي عاهد المسلمين واتّفق معهم وسلّمهم الاسكندرية وبلاد مصر سنة ٦٤٠ فأكرموه واحسنوا اليهِ وأفازوه بامانيه . قال المقريزي (في الخطط ٢ : ٤٩٢) :

« ان ارض مصر لمّا دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونةً بالنصارى وهم على قسمين متباينَين في اجناسهم وعقائدهم احدُهما اهل الدولة وكلّهم روم . . وعدّتهم تزيد على ثلاثمائة الف رومي . والقسم الآخر عامّة اهل مصر ويقال لهم القبط وأنسابهم مختلطة لا يكاد يتميّز منهم القبطي من الحبشي من النوبي من الاسرائيلي . . . وكلّهم يعاقبة . فمنهم كتّاب المملكة ومنهم التجّار والباعة ومنهم الاساقفة والقسوس ونحوهم . . . ويبلغ عددهم عشرات آلاف كثيرة جدًّا . . . ثم صار القبط عوناً للمسلمين على الروم . . . وكتب عُمر لبنيامين . . . اماناً في سنة عشرين (٦٤٢م) . . . فغلبت اليعاقبة على كنائس مصر وديارها كلّها وانفردوا بها دون الملكيّة »

فاضطرّ قورس بطريرك الملكيّين ان ينهزم الى القسطنطينيّة وتضعضع امر الملكيّين في الاسكندريّة ، ولم يبقَ منهم سوى طائفة نزرة في القرى والضياع التي على شاطئ النيل (١ واستتلى المقريزي (٢ : ٤٩٣) قوله بقوله :

---

(١) ميخائيل الكبير ص ٤٢٢ وتاريخا الزهاوي (ص ١٦١) وابن العبري المدني (ص ١٠٢)

« من عهد عمر بن الخطّاب (٦٣٤-٦٤٤) الى خلافة هشام بن عبد الملك (+ ٧٤٣) غلب اليعاقبة على كنائس مصر. . . امّا الملكيّة فان ملك الروم لاون اقام قسيما (قسما) بطرك الملكيّة بالاسكندرية في سنة ١٠٧ه (٧٢٥م) فمضى ومعهُ هديّة الى هشام . . . فكتب لهُ بردّ كنائس الملكيّة اليهم فاخذ من اليعاقبة كنيسة البشارة. وكان الملكيّة اقاموا سبعاً وسبعين سنة بغير بطرك في مصر من عهد عمر بن الخطّاب الى هشام. . . وفي ايام المأمون (٨١٣ – ٨٣٣) مضى بطرك الملكيّة الى بغداد فكتب له الخليفة بردّ كنائس الملكيّة التي تغلّب عليها اليعاقبة بمصر فاستردّها منهم واقام في بطركيّة الملكيّة اربعين سنة ومات »

« قال ابن العسّال (ص ٤٥ من نسختنا في الشرفة) :

« اخذت الملكيّة جميع الكنائس التي كانت لليعقوبية ومذ ذلك الوقت صار كرسي البطاركه اليعاقبة في دير ابو مقار »

امّا بطريركيّة الاقباط وبطريركيّة السريان اليعقوبيّتان او المنوفستيّتان فظلّتا ثابتتين على عهودهما فان ايليا الاول بطريرك السريان (+ ٧٢٣) اوفد رسالة الى البطريرك اسكندر الثاني (+ ٧٢٦) في الاتحاد صحبة استفانس احد اساقفته فقبلها بفرح وكتب الى البطريرك الانطاكي جواباً (١

ولما تولّى بطريركيّة السريان ديونوسيوس التَّلْمَحْري (٨١٨-٨٣٧) أمر محمد اخو الامير عبدالله صاحب مصر سنة ٨٢٥ بتقويض كنائس السريان في الرها فارتحل البطريرك ديونوسيوس الى القطر المصري يصحبه شقيقه ثاودسيوس مطران الرها ليدافع عن الكنائس المشار اليها. ولما وصل البطريرك الى مصر خرج النصارى وعددهم زهاء ثلاث ربوات وحيّوه بالسلام واحتفى به يعقوب بطريرك الاسكندريّة واساقفتهُ ورحّبوا بهِ مُدّعين «انهم لم يشاهدوا بطريركاً سريانيّاً حلّ في ارض مصر منذ عهد سويرا (+ ٥٣٨) «وفاتهم ما جرى للبطريركين اثناسيوس الجمّال وانسطاس من الاتفاق لدن مواجهتها في الاسكندريّة كما ذكرنا آنفاً فيُستدَلّ من ذلك ان القبط يومئذٍ كانوا جاهلين تواريخ أجدادهم غير خبيرين باحوالهم وأخبارهم

وبعد هذا قصد البطريرك ديونوسيوس الاميرَ عبدالله بن طاهر صاحب مصر فطفق الامير يعاتبه عتاباً حبيّاً ويقول : كان الاولى لك ان تكتفي بارسال كتاب منك الينا ترد فيه مسألتك فكنا نجيب الى طلبتك. قال له البطريرك : «ان ثاودسيوس

١) تاريخ القبط للشمّاس منسّى (ص ٤١٢)

مطران الرها قد قدِم اليكم ليحتجّ على محمّد عاملكم في الرها لانه أمر بتقويض كنائسنا امّا انا فقد أقبلت الى مصر لأتعهّد أمور الجماعة على ان شؤون الطائفة باسرها منوطة بي». فما كان من الامير عبدالله الّا أن كتب صكًّا يأمر بترميم ما قُوّض واوفد الى عامله يأمره بذلك ويحرّضه ويحضّه على مسايرة النصارى ومجاملتهم

فاخذ البطريرك تلك التوصية شاكرًا للامير فضلهُ وحفاوتهُ وعاد الى ابرشيّته مسرورًا ظافرًا واستلم الكنائس المغصوبة. ولما كانت السنة ٨٣١ استصحبهُ الخليفة المأمون الى دمشق ومصر وكلّفه ان يصالح النصارى الاقباط. فوصل البطريرك ديونوسيوس الى مصر فخرج يوسف بطريرك القبط الى الفسطاط واستقبله ومضى به الى البشمور حيث كان النزاع والاختلاف قائمًا على قدم وساق. فخرج الوجهاء لاستقبالهما وجعل البطريرك ديونوسيوس ينصح لهم ويرشدهم حتى أطاعوا صاغرين. وجعل يوبّخ الاقليرس خاصةً على بعض عوائد ذميمة سَرَت فيما بينهم اخصّها انهم كانوا يبالغون في طمعهم بمال الشعب فيجمعونهُ من اي وجهٍ كان ويؤدّونه للبطريرك لينصبهم اساقفة او مطارنة اذ كان يتعذّر على اي كان ان يرتسم مطرانًا قبل دفعهِ للبطريرك مائتَي ليرة او ثلاثمائة ليرة ذهبًا

وكتب ديونوسيوس البطريرك فصولًا ضافية وصف فيها ما شاهدهُ في وادي النيل من الغرائب والعجائب ولاسيما أهرامها العريقة في القدَم ومن جملة ذلك قوله: «ان هذه الاهرام مبنيّة بحجار ضخمةٍ كالرخام تحاكي حجار بعلبك المثلثة طولُ الحجر الواحد زهاء ستّين ذراعًا في ستّ اذرع عرضًا في مثلها سَمْكًا وعلى راس الهرم كرسي من حجر طوله عشر اذرع فيكون علوّ الهرم كله سبعين ذراعًا (١ منقوشة فوقه من علوّه الى اسفله صور أصنام وكتابات حبريّة تتعذّر قراءتها على علماء عصرنا(٢ »

وواصل بطاركة السريان والاقباط المراسلات حتى القرن الثاني عشر. فان يوحنا الرابع (٧٧٦–٧٩٩) كتب الى جرجس بطريرك انطاكية ٧٥٨–٧٩٠) يجدّد فيها

---

١) ان الاهرام الكبيرة ثلاثة وهي في الجيزة اكبرها هرم شيوبس طولهُ وعرضهُ الآن ٧٤٤ قدمًا وعلوّه ٤٥٠ قدمًا والثاني طوله وعرضه ٦٩٠ قدمًا وعلوّه ٤٤٦ قدمًا. امّا الثالث فهو اصغرها. امّا ابو الهول فطوله ١٩٠ قدمًا. ويوجد غيرها من الاهرام الا ان ما ذكرناه منها اعظم شأنًا. امّا الكتابات التي رُقمت عليها فقد فكّها العلّامة الفرنسوي شمبوليون منذ مئة سنة بنيّف ٢) اطلب تاريخ الرهاوي (طبعة الشرفة ف ٢٠٨ : ٢٣٥)

اتحاده معه في الامانة وكان البطريرك جرجس قد أُلقي في السجن وجلس عوضه ابن اخى حظايا الخليفة ... ولما أُطلق من السجن كتب الجواب الى البطريرك الاسكندري (١ . وكتب يوحنا الخامس بطريرك انطاكية رسالة حبيَّة الى يوسف بطريرك الاسكندرية وارسلها مع مطراني حمص وحماة فتلقَّاها بسرور وقرأها على مسامع الشعب وكتب لهُ جوابها

وقد ورد في مخطوط مكتبة كمبردج (عدد ٣٢٨٨) وهو كتاب اعتراف الاباء (ص ٩٣١) نتفٌ من رسائل عديدة تداولها بطاركة الاسكندرية وانطاكية . منها رسالة الانبا يوحنا بطريرك الاسكندرية الى قرياقس بطريرك السريان الانطاكي (†٨١٧) . ورسالة قرياقس المذكور الى الانبا مرقس بطريرك الاسكندرية . ورسالة ثاودوسيوس بطريرك السريان (†٨٩٥) الى الانبا ميخائيل بطريرك الاسكندرية . ورسالة ديونوسيوس بطريرك انطاكية (†٩٠٩) الى الانبا خاييل بطريرك الاسكندريَّة . ورسالة غبريال بطريرك الاسكندريَّة الى يوحنا (السادس) بطريرك انطاكية (†٩٢٢) ورسالة الانبا قزمان الى باسيليوس الاوَّل (†٩٣٥) وجوابها . ورسالة الانبا مقار بطريرك الاسكندريَّة الى يوحنا السابع بطريرك انطاكية (†٩٥٣) . ورسالة ديونوسيوس الثالث (†٩٦١) الى مينا بطريرك الاسكندرية . ورسالة مينا المذكورة الى يوحنا التاسع (†٩٨٦) وجوابها . ورسالة يوحنا المذكور الى مينا البطريرك وفيها يستشيره في الذهاب الى القسطنطينيَّة للنظر في مسائل الدين . ورسالة فيلتاوس بطريرك الاسكندريَّة الى ديونوسيوس الرابع (†١٠٤٢) والى اثناسيوس السادس (†١٠٦٤) وجوابها . ورسالة يوحنا الثاني عشر (†١٠٧٣) الى زخاريس بطريرك الاسكندرية وجوابها . ورسالة الانبا سانوتيوس بطريرك الاسكندريَّة ومصر الى ديونوسيوس الخامس (†١٠٧٩) . ورسالة الانبا خرسطودولس الى يوحنا الرابع عشر (†١٠٨٧)

ولما ارتقى ميخائيل الكبير الى الكرسي الانطاكي على السريان سنة ١١٦٧ ارسل صورة ايمانه الى بطريرك الاسكندريَّة طبقاً لعادة اسلافه . ذلك كلهُ برهان مقنع على اتحاد الكرسيين وعلى اتفاق كلمتهما في الرأي والمعتقد

---

١) تاريخ القبط (ص ٤٢٦)

ثم ان كتبة السريان لم يغفلوا عن ذكر بطاركة الاقباط في تواريخهم فسردوا فيها زمان وفاة البطريرك السلف وزمان خلفه . وحسبنا ان نورد نتفاً منها نقلاً عن تاريخ ميخائيل الكبير قال (ص ٤٥٢و٤٥٣) ما شرحهُ :

« الى هذا العهد (سنة ٧١٥م) اعتاد مؤرخو السريان ان يكتبوا اسماء رؤساء الاساقفة الذين تولوا رئاسة الكراسي الاربعة المقدسة اعني الكرسي الروماني والاسكندري والقسطنطيني والانطاكي . . . رومًا كانوا ام يونانًا . . . وبعد هذا العهد لم نعثر في كتب من سلفنا على سلسلة اساقفة رومية والقسطنطينية . فان مؤرخي السريان لمَّا استولى المسلمون على سورية ومصر اهملوا ذكر الاساقفة الخلقيدونيين (الارثذكسيين) واكتفوا بذكر اساقفة مصر وسورية لأن شعبنا السرياني يشمل كلا القطرين السوري والمصري»

وبناء على ما تقدَّم فقد اورد ميخائيل الكبير وغيره من المؤرخين السريان اسماء بطاركة الاسكندريَّة في كتبهم واساطيرهم . قال ميخائيل (ص٤٠٣) : توفي انسطاس بابا الاسكندرية وخلفه اندرونيقس . . . فبنيامين . وقال (ص٤٣٥) : لما تولى بطريركيَّة انطاكية سويرا بن مشقا سنة ٦٦٨ ارتقى الى الكرسي الاسكندري اغاثون . وخلفه يوحنا . وولي بعده شمعون ثم اسحق (ص ٤٤٧) ثم الكسندروس († ٧٢٧) (ص ٤٥٠) وخلفه قزما (ص ٤٦٢) . وقال (ص ٦١١) : توفي اثناسيوس السابع سنة ١١٢٩ . وفيها توفي ايضاً مقاريس بطريرك الاسكندرية . وقال (ص٦١٣) : خلف قرلس مقاريس († ١١٢٩) وولي بعده ثاودرس وعُزل ونُصب بدلًا منهُ ميخائيل فجبرائيل قال : « وكان هذا خبيرًا بالعربية واصبحت هذه اللغة في عصره لغة المصريين فصرف الهمة في نقل العهدين وسائر الكتب الطقسيَّة الى العربية»

ولمَّا تولى بطريركيَّة الاسكندريَّة ايوَنس اوفد الاسقف بطرس الشيخ الى ميخائيل الكبير بطريرك السريان حاملًا اليه رسالة بالقبطية والعربية فحواها الاعتقاد بالمنوفستية

ومما يدلّ صريحًا على اتحاد القبط والسريان ان نسّاخ الكتب السريانيَّة في سالف الزمان أرّخوا سنة نسخهم مخطوطاتهم بذكر البطريرك الانطاكي والبطريرك الاسكندري معًا فقد ورد في مخطوطات لندن (عدد ٦٢٦ ص ٤٩٨) انهُ نُسخ سنة (٨٣١ م) في طورلاها بانطاكية عند دير فسيلتا في عهد ديونوسيوس الاول († ٨٤٠) ويوسف بطريرك الاسكندريَّة . وفيها (عدد ٧٥٢) انَّهُ نُسخ سنة (٨١٦ م) في برّية مقاريس في عهد قرياقس البطريرك († ٨١٧) ومرقس بطريرك الاسكندرية .

وقس عليه العدد ٧٨٠ المنسوخ في عهد بطريرك السريان ديونوسيوس ويعقوب بطريرك المصريين. والعدد ٧٨١ المنسوخ سنة ٨٢٣ م في عهد يعقوب المذكور وقد جاء فيه ايضاً ذكر قوسما بطريرك الاسكندرية ويوحنا بطريرك انطاكية. وورد في مخطوط لندن (العدد ٧٨٢) انهُ نُسخ سنة ٨٣٣م في عهد ديونوسيوس الانطاكي ويوسف الاسكندريّ. وجاء في مخطوط لندن (العدد ٨١٧) المنسوخ في حرّان سنة ٩١٣ م انه كتب في عهد يوحنا الانطاكي وجبرائيل بطريرك مصر

وورد في فهرس مخطوطات لندن (ص ١١١٦) ما تعريبهُ: «نُقلت سيرة مار يوحنا الصغير من العربية الى السريانية في برية الصعيد سنة ٩٣٦م في عهد باسيليوس الانطاكيّ ومقاري الاسكندريّ». وورد في رسائل مار بولس (عدد ١٤٧ ص ٩٤) انهُ نُسخ في حزيران ١٢٥٤م في زمان بطريرك انطاكية واثناسيوس بطريرك الاسكندريّة. وجاء في مخطوط لندن (عدد ٢٦١) انهُ نُسخ في دير قرتمين سنة ١١٨٢ في عهد ميخائيل البطريرك الانطاكيّ ومرقس بطريرك مصر

وقس على ذلك مخطوطات سريانية عديدة منسوخة في بلاد السريان او في مصر فيها يُذكر اسم كلا البطريركين. مما يبرهن على اتحاد السريانُ والاقباط وعلى انتشار السريان في وادي النيل

٧ مبادلة السريان والقبط بالبطاركة

اتضح مما قدمنا اتفاق السريان والاقباط واتحادهم. ونضيف الى ذلك ان كنيستي الاسكندريّة وانطاكية المنشقتين عن سائر الكنائس الرسوليّة تبادلتا بنصب البطاركة لكرسيهما عربوناً لحبهما. فقد ذكر السلف ان فولا او بولس الحبشي († ٥٧٥) ثاني بطاركة السريان المنوفستيين الانطاكيين كان اصلهُ من الاسكندريّة ودرس في دير بانطاكية واتقن السريانيّة واليونانية وارتقى الى البطريركية الانطاكية بوضع يد يعقوب البرادعيّ وبحضور ثاودوسيوس البطريرك الاسكندريّ. ولما حاول التخطي من الكرسي الانطاكي الى الكرسي الاسكندري سخط عليه يعقوب البرادعي وزملاؤه وثبطوهُ عن انجاز رغبتهِ وتوفي في دير للراهبات بالقسطنطينية

وتتلمذ البطريركية الانطاكية على السريان ايضاً ثاودور (٦٤١–٦٦٧) الذي

وُلد في صعيد مصر وقرأ العلوم في دير قنّسرين قرب حلب وساس البطريركية السريانية ثماني عشرة سنة وتوفي في دير قنّسرين عينه

وتولى الكرسي الاسكندري في مصر عدّة بطاركة كانوا من العنصر السرياني او مولودين في بلاد السريان أشهرهم دميانس الذي ذكرنا أخباره في ما سبق وارتحل الى سورية وشخص الى الرها وتنقّد احوال أخيه الذي كان متولّياً امرها من قبل الحكومة

وكان الانبا سيمون الاول بطريرك الاسكندرية الثاني والاربعون (١ مولوداً في احدى مدن المشرق سرياني الجنس يعقوبيّ المذهب وجاء به ابواه الى الاسكندرية ووضعاه في دير الزجاج اكراماً لجسد سويرا المدفون فيه . ولمّا اتمّ فيهِ دروسهُ رسمه اغاثو البطريرك († ٦٧٧) قسّاً . . . فأمر الوالي باحضاره وسأله عن جنسهِ فقال انهُ سريانيّ . ولما توفي البطريرك اسحاق في عهد والي مصر عبد العزيز بن مروان اتفق جميع الاساقفة والوجهاء وقالوا للامير: «سلّم الكرسي لسيمون فهو مستحقّ للبطريركية» فسمح لهم ان يقيموه بطريركاً (سنة ٦٨٩) . . وكتب رسالة في الاتحاد الى يوليان الثالث بطريرك السريان الانطاكيّ (٦٨٨–٧٠٩) وارسلها مع اساقفته . . . فرحّب بهم البطريرك واعاد له الجواب . وما عتّم ان ضجر منه الكهنة ومضى قوم منهم الى بعض السحرة فاخذوا سمّاً ووضعوه في اناء ليقتلوا البطريرك فلم يفلحوا . وكان نصارى الهند وقتئذٍ ولاسيما الملَباريّون يرسلون الى بطريرك انطاكية ليرسم لهم اساقفة . ولمّا تعذّر عليهم الذهاب الى بلاد سورية قصدوا الاسكندرية وسألوا البطريرك سيمون ان يرسم لهم اسقفاً فتخوّف من صاحب مصر ورفض طلبتهم . وتوفي سيمون في سلخ القرن السابع ودُفن في دير الزجاج (٢

وقد ورد في تواريخ بطاركة الاقباط ذكر البطريرك ابرام او افرام السرياني المعروف بابن زرعة وهو الثاني والستون في عدد البطاركة خلف مينا في البطريركية سنة ٣٦٦ه‍ ٩٧٦م واقام ثلاث سنين وستة اشهر يسوس الكرسي الاسكندري

---

(١) ابو صالح الارمني (ص ٦٧)

(٢) اطلب تاريخ القبط للشماس منسّى (ص ٢٩٠-٢٩٣)

ولقي حتفه مسموماً وقد جاء في سيرته (١ ما ملخصه : « لمّا تنيّح الانبا مينا ... اجتمع اساقفة كورة مصر من الريف والصعيد وكتاب مصر وكهنة الاسكندرية .. واختاروا للبطريركية رجلًا تاجراً سريانيًّا اسمه ابرام بن زرعة وكان بمصر . فاجتمعوا في بيعة سرجيس وباخس بمصر بقصر الشمع وانتخبوه ومضوا به الى الاسكندرية وجعلوه بطركاً ».

واعلم ان قصر الشمع كان يُدعى باسم بابيلون وهو واقع في طرف مصر العتيقة الى جنوبيها على مسافة ٣٠٠ متر من ضفّة النيل الشرقيّة . وهناك سورٌ مرتفع ذو منظر غريب مفرَزٌ عن المنازل المجاورة له (٢ وكان القبط يجتمعون فيه لانتخاب بطاركتهم وكانوا يقيمون فيه حفلة شائقة لتنصيبهم حتى أصبح كعاصمة دينيّة يأوي اليها الاقباط . امّا البطريرك ابرام السرياني فقد أولى البطريركيّة الاسكندريّة فضلًا وسيماً فجدّد عمارة بيعة مرقوريوس الخطيرة على شاطئ النيل وكان حريصاً على حفظ القوانين البيعيّة خبيراً بالقواعد الدينيّة جادل الملك المعزّ بحضور العلّامة ساويرس اسقف الاشمونَين المعروف بابن المقفّع ومات اخيراً مسموماً كما ذكرنا . وهو الذي ادخل في الكنيسة القبطيّة فرض صوم نينوى الذي يصومه السريان وحافظ عليه القبط حتى اليوم

وكان مرقس الثالث بطريرك الاسكندريّة سرياني النحلة ايضاً وهو المعروف بابن زرعة تولى البطريركية سنة ١١٦٦ وقام بواجباته واشتدّ الخلاف بينه وبين مرقس ابن قنبر الذي عدل الى الملكيّة وتوفي سنة ١١٨٩

ولما تولى بطريركيّة الاسكندريّة كرلس الثالث (١٢٣٥–١٢٤٣) تحامل على زميله اغناطيوس داود بطريرك انطاكية فعيّن مطراناً قبطيًّا سمّاه مطران سوريا وارسله الى اورشليم ... وكانت مصالح القبط قبل هذا العهد في اورشليم موكولة الى الكنيسة السريانية ... فأدّى تدبير كرلس هذا الى افساد العلاقات الوديّة القديمة وفصم عرى الاتحاد الذي كان بين السريان والاقباط . غير ان اساقفة مصر عارضوه في

---

١) منها نسخة في مكتبة باريس (عدد ٦٥ ص ٣٢) ونسخة في مكتبة جناب الفيكونت فيليب دي طرّازي

٢) المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٤٧

الامر واضطروه الى ان يرسل مندوباً الى بطريرك انطاكية الذي كان وقتئذٍ في اورشليم يطلب اليه الاعتراف بالمطران الذي ارسله . فأبى اغناطيوس بطريرك انطاكية . . . ونصب مطراناً لكنيسة الحبشة اسمه توما وبذلك صح فيه المثل «الحديد بالحديد يُفلَح» (تاريخ القبط ص٥٥٨ وابن العبري ص٦٥٩)

ونضيف الى ذلك اسماء بعض بطاركة السريان المتأخرين الذين جرت لهم علائق مع البطاركة المصريين . فقد جاء عن شمعون الطور عبديني اسقف جرجر انهُ بعد وفاة فيلكسين بطريرك السريان في قيليقية وسورية توجه الى مصر وارتسم بطريركاً سنة ١٤٢١ بوضع يد بطريرك الاقباط غبريال الخامس (١٤٠٩–١٤٢٨) وبعد ان اقام زماناً في القطر المصري حجّ الى اورشليم وفيها توفي سنة ١٤٤٥ . وكتب البطريرك اغناطيوس يوحنا ١٨ الماردين الى المفريان نوح البقوفاوي يستمهلهُ زماناً حتى يذهبا هما معاً الى اورشليم ثم يستأنف البطريرك المسير الى مصر لتفقد شؤون ابناء طائفته السريانية فيها

فيتحصَّل من ذلك ان السريان كانت لهم منذ قديم الزمان ابرشيَّة معتبرة في وادي النيل ولكنهم لم يستصوبوا فيما نرى ان يقيموا لها اسقفاً خصوصياً دلالةً على احترامهم للبطريرك الاسكندري واعتقاداً منهم بانه يدبّر السريان ويسوسهم ويعتني بهم اعتناءَهُ بطائفته القبطيَّة

٨ً الطقس السرياني والطقس القبطي والحبشيّ

لا شكّ ان الطقس السرياني هو أصل الطقوس البيعيّة اجمع كما قرّر ذلك الكتبة البيعيّون والمؤرّخون المدققون لان اوّل كنيسة انشئت في اورشليم ثم في انطاكية وكانت السريانيّة اللغة الدارجة في الحاضرتين كلتيهما فاحتفل آباؤنا الرسل الاطهار فيهما الحفلات الدينية باللغة السريانية(١

---

١) في هذا القول نظر ندع الحكم الفصل عن صحتهِ للعلماء الأثبات . يراجع معجم دون كبرول Diction. d'Archéologie et de Liturgie, I², col. 2427-2439, *Liturgie d'Antioche* راجع ايضاً في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ٦٧٧–٦٨٧) مقالة حسنة في صحة نسبة ليتورجية القديس يعقوب اليه (المشرق).

ويظهر صدق هـذا القول لمن يعارض ليترجية مار يعقوب السريانيـة بليترجية الكنيسة القبطيَّـة فيرى مشابهتها ويستنتج من ذلك ان الليترجيـة السريان والقبط مصدرًا واحدًا او ان الليترجيَّة الاسكندريَّة اقتضبت صلواتها توًّا عن ليترجية مار يعقوب وهو الرأي الاصوب

وقد عارض غبطة السيِّد اغناطيوس افرام الثـاني بطريرك السريان الانطاكي صلوات اللِّترجيَّة السريانيَّة بصلوات الليترجيَّات القبطيَّة فألفى اغلبها إلمَّ نقل كلهـا مطابقة بعضها لبعض(١ ففي ليترجية باسيليوس القبطيَّة مثلًا نرى صلاة السلام موافقة لليترجية باسيليوس السريانيَّة والصلاة الثانية منقولة عن ليترجية اثناسيوس السريانيَّة. وفي ليترجية قرِلس القبطية اربع صلوات منقولة عن ليترجيـة يوحنَّا الرياني المنقف بُصرى في القرن السابع

وقد نقل ائمة السريان الى لغتهم جملة من ليترجيَّات القبط كليترجية مار مرقس وليترجيات اثناسيوس وديوسقورس وطيمثاوس بطاركة الاسكندريَّة

وممَّا يبرهن على اتحاد الكنيستين القبطيَّـة والسريانيَّة ان بطـاركة السريان واساقفتهم اذا رسموا شمَّاسًا او قسًّا او اسقفًا يتقـدَّمون اليـه بان يؤدِّي الخضوع والطاعة لكلا البطريركين الانطاكي والاسكندري (٢

وزد عليهِ ان القبط ما برحوا حتى اليوم يذكرون في قـدَّاسهم سويرا بطريرك السريان الانطاكي بعد مرقس البشير وقبل اثناسيوس وكرُلس الاسكندريين. فقد ورد عندهم في قدَّاس باسيليوس (ص ٢٣٢ من الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢): «واذكر يا ربّ ... البطريرك القدّيس ساويرس ومعلّمنا ديسقرس والقديس اثناسيوس وبطرس الخ». وكذا ورد ذكره ايضًا بعد مرقس البشير (ص ٣٥٤). وقد ورد في الكتاب المذكور (ص ٣٥٦) ذكر يخنس كاما القس ... واوكين ... وانبـا برصوما وافرام وماروتا السريان ... وانبا برصومـا العريان. وذكر (ص ٣٧٣) ساويرس بطريرك انطاكية. وقس عليهِ (ص ٤٥١) في قدَّاس غريغوريوس ثمَّ (ص ٥٥٣ و٥٩٩) في قدَّاس كرُلس وفي هذا القدَّاس عينه نرى (ص ٥٦٣) صلاة الصلح للبطريرك ساويرس

---

(١) اطلب كتابه «المباحث الدينيَّة في الليترجيَّات الشرقية والغربيَّة ص ١٧٢–١٨٤

(٢) راجع صورة الايمان بالسريانيَّة التي يضطر المرتسم ان يتلوها قبل رسامته

ثم ان القبط يعيّدون لساويرس على مدار السنة اعياداً كثيرة منها عيدان في شهر توت وعيد ثالث في شهر بابه ذكراً لدخوله ارض مصر . وعيد رابع في شهر هتور(١

وقد ورد في فهارس الاعياد القديمة عند السريان ذكر للانبا مقاريس في ٢٤ آذار ويوحنا الصغير في ١٧ تشرين الاوّل ويوحنا الحبيس في صَلَح في ١٨ ايلول والانبا شنودين في اول تموز والانبا بيشاي والآباء المصريين بلفيفهم في ٢ تموز (٢

وقد اورد شرّاح الاسرار عند السريان كيعقوب الرهاوي ولعازر اسقف بغداد ويوحنا مطران ماردين والسريان ابن العبري وغيرهم نتفاً كثيرة من طقوس الكنيسة الاسكندريّة استحسنوا بعضها . واشاروا الى عوائد قبطيّة كثيرة مطابقة او مخالفة لعوائد السريان . فقد اورد يعقوب الرهاوي في شرحهِ القداس : « ان آباء كنيسة الاسكندريّة حتموا ان تُتلى اولاً صلوات التذكارات (اعني الذبتخا) ثم يُحتفل برتبة القداس » وما برحوا على ذلك حتى اليوم . وقال ايضاً « ان الكاهن في الطقس الاسكندري يحيّي الجماعة اثناء القداس بقوله لهم «الربّ مع جميعكم» (٣

وذكر يوحنا اسقف دارا السرياني انه يجب على الكاهن المقرّب ان يضع ثمانية اغطية على المذبح يستر باثنين منها الصينيّة والكاس ويوزّع الستة الباقية على المؤمنين ليمسحوا بها شفاههم بعد تناولهم القربان . وهذه العادة جارية حتى اليوم في كنائس القبط

ثم ان القربانة عند القبط تشبه قربانة السريان باستدارتها وحجمها وتجزئتها وصلبانها وهم يباركون الخبز المبارك على الخمير كالسريان ويوزّعونه على المؤمنين في نهاية القدّاس ويفرزون غرفة قريبةً من الكنيسة لخبز القربانات . امّا الطابع فهو من الخشب عند كلتا الطائفتين . وزيّ أحبار القبط وقسوسهم كزيّ احبار السريان وقسوسهم وبدلتهم كبدلة السريان بلا فرق

---

١) اطلب كتاب شرح رسائل مار بولس لاحد الاقباط خاصّة مكتبة دير الشرفة للسريان وسيأتي وصفه في محلّه

٢) مخطوط خزانة الكتب في دير الشرفة المنسوخ سنة ١٥٧٩ م وكتاب الحمامة المنسوخ سنة ١٥٦٠

٣) ص ٣١ من نسختنا

وقد نقل القبط شيئاً كثيراً من تآليف السريان واستعملوها في ليترجيّاتهم كميمر ليعقوب السروجي السرياني ورتبة الكسر هرمُا لديونوسيوس يعقوب ابن الصليبي († ١١٧١) واولها ܬܫܒܚܬܐ ܕܥܠ ܥܢܢܐ مع تتمّتها كلها وقد عنونها الكاتب هكذا: «قسمة سريانيَّة تُرجمت من القدّاس السرياني الى العربية ثم من العربيَّة الى القبطيَّة»(١ ونُشر في مصر سنة ١٩٠٣ بنفقة ميخائيل اثناسيوس القبطي ثمانية وخمسون ميمراً ليعقوب السروجي نُقلت عن السريانيَّة الى العربيَّة بعبارةٍ ركيكة غير مهذَّبة يعتاص على القارئ فهمها

وقد استقبح كتبة السريان شيئاً من عوائد الاقباط على ما اورد يوحنا مطران ماردين († ١١٦٦) في رسالتهِ الى يشوع وقد لخصها ابن العبري ايضاً عن سقراط المؤرّخ في تاريخهِ البيعي لدن كلامه عن فابيانس الاوّل بطريرك انطاكية قال:

«ان النصارى في الاسكندريةِ ومصر والصعيد لا يجتمعون ايّام السبت والاحد لقضاء خدمة الاسرار المقدّسة بل يجتمعون ايّام الاسبوع. ولا يتناولون الاسرار كسائر المسيحيين بل يتقرّبون وقت العشاء بعد ما ياكلون ويشبعون. ويتلون الكتب المقدّسة في الاسكندرية يومي الاربعاء والجمعة ويشرحها لهم العلماء منهم. ويشتركون عامّةً في الحفلات الدينيَّة الّا في اقامة القدّاس تلك عادة قديمة في الاسكندرية. ويصطفّون لقراءة الكتب وشرحها كائناً من كان من الحضور ومن المؤمنين. ولا يجوز للقس ان يلقي موعظة في كنيسة الاسكندرية وهي عادة ألفوها من عهد اريوس القس الذي أقلق الكنيسة وأزعجها»

وكانوا يخلطون الزيت والملح في عجين خبز القدّاس وقد جرت بسبب ذلك مجادلة عنيفة بينهم في عهد يوحنا برشوشان بطريرك السريان + ١٠٢٩ وخرستودلس بطريرك الاقباط

وقد نقل السريان عن القبط طقس رسامة الرهبان على ما ورد في المخطوطات السريانيَّة القديمة المنسوخة قبل القرن السادس عشر بهذا العنوان: «طقس اسكيم الانبا انطونيوس المنقول من القبطية الى السريانية» ثم «طقس القنديل حسب عادة السريان وحسب رأي القبط»

وقد ألحق كتبة السريان بكتاب الهدايا وهو كتاب الشرع عند السريان اليعاقبة

(١ اطلب الخولاجي القبطي (ص ١٣٧ و ٧٣٦)

تأليف المفريان ابن العبري نُتفاً من قوانين الرسل نقلاً عن كتبة الاقباط تتعلق بامتيازات البطاركة وكراسيهم وقد نشرناها على صفحات المشرق (١٦[١٩١٣]: ص٦٦٧) ومن جملة ذلك قولهم: «أمر الرسل القديسون والآباء الارثذكسيّون ان يكون البطاركة اربعة... واولهم ورئيسهم بطريرك رومية وله الرئاسة على كلهم لكونه خليفة بطرس رئيس الرسل في الكرسي الروماني السامي الرفيع... وثانيهم بطريرك الاسكندريّة... ورابعهم بطريرك انطاكية»

وقد نقل السريان عن القبط بعض ميامر وصلوات روحيّة كصلاة فولا البسيط تلميذ الانبا انطونيوس وتسبيحة الانبا سرابيون وصلاة الانبا مقاريس (١ ونبذة في تهذيب الراهب تأليف ايوّني رئيس دير طورسينا

ومما يدلّ على امتزاج القبط بالسريان استعمالهم كلمات سريانيّة في طقوسهم وليترجيّاتهم كقولهم «طوبانيّتين» بدلاً من «طوباويّتين» و«طوباني» بدلاً من طوباوي. و«نيّح» بدلاً من «أرِح» و«لتأتِ ملكوتك» بدلاً من «ليأتِ». و«الاخذ» عوضاً عن «التناول» وهو معرّب ܩܒܠ بالسريانيّة. وقد ورد في الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢ على رغم تنقيحهم إيّاه كلمات شتى منقولة عن السريانيّة كلفظ شماس وفعل رَشَمَ ورُشومات ولِقان ومعمودية وميمر وآبهاتنا (ص ٥١) وعتيد (ص ٨٦) وتنيّحوا (ص ٥٠) وغير ذلك. لا بل يستعملون في لهجاتهم كلمات سريانيّة حتى اليوم ومن ذلك ما اورده الشماس منسّى في تاريخه كقوله «حياصاته» وحياصة (ص ٣٢٤) من ܙܢܪܐ السريانيّة اي الزنّار والراهبة بسيمة (ص ٧١٠) من ܣܝܡܐ ويستون بطاركتهم انبا من ܐܒܐ

وما قلناه عن الطقس القبطي يصدق في الطقس الحبشي فقد وُجد على ما يظهر كتبة سريانيّون اشتركوا مع من ترجموا العهد الجديد الى اللغة الحبشيّة. ويدلّ على ذلك وجود الفاظ سريانيّة في تلك الترجمة نحو هيمانوت (٢ ܗܝܡܢܘܬܐ اي الايمان.

---

١) اطلب ܣܕܪܐ وܩܘܕܫܐ خاصّة مكتبة الشرفة المخطوط سنة ١٦٩٦ م

٢) عُرف في القرن الثالث عشر اسقف كاثوليكيّ للحبشة اسمهُ تقلا هيمانوت (المشرق ٦: ٩١٩ و١١: ٩٢) ولمّا انشأ الحبشة دولة وطنيّة نصرانيّة سنة ٩٧٧ ملّكوا عليهم ملكاً اسمه تكلاهيمانوت + ٩٩٢ (المشرق ١٥ [١٩١٢]: ١٢٠) وما برح هذا الاسم شائعاً بين الحبشة حتى اليوم

على ان بعض دعاة النصرانيَّة في بلاد الحبشة كانوا سريانيّي النحلة واللهجة. ولا يزالون حتى اليوم يستعملون في قدّاسهم ليترجيَّة يعقوب السروجي السرياني فضلًا عن صلوات سريانيَّة كثيرة ترجموها وألحقوها بليترجيّاتهم. كما ان القبـط ايضاً ظلّوا يترنّمون في كنائسهم عند خاتمة صـلاة المساء بالطلبة السريانيَّة التي بدؤهـا ܡܪܝ ܡܪܚܡ ܥܠܝܢ ܐܘ̈ܗܒ ܠܢ ܪܚܡܐ ܘܡܪܚܡ مع التريساجيون واضافتهم «يا من صُلبتَ لاجلنا»

فهل من دليـل أوضح على مشاركة السريان والاقبـاط في طقوسهم البيعيَّة وعوائدهم الدينيَّة وعلى اتّفاق الطائفتين واتحادهما

٩ كنائس السريان القديمة في القطر المصريّ

يتلخّص ممّا اوردناه حتى الآن ان وادي النيل كان حافـلًا بالشعب السرياني حتى القرن السادس عشر وما بعده وكان لهم فيهِ عدّة كنائس معتبرة بقيت منها بقية حتى اليوم وأخرب المسلمون منها عددًا وافرًا قال المقريزيّ (الخطط ٢: ٤٩٦) ما نصهُ:

«ان الحاكم بامر الله كتب الى ولاة الاعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات فصمّ الهدم فيها من سنة ٣٠٣هـ (١٠١٣م) حتى ذكر من يوثق به في ذلك ان الذي هدم الى آخر سنة ٤٠٥هـ (١٠١٤م) بمصر والشام واعمالها من الهياكل... نيّف وثلاثون الف بيعة ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة وقبض على اوقافها وكانت اوقافًا جليلة على مبانٍ عجيبة... وفي هذهِ الحوادث أسلم كثير من النصارى»

فيُستفاد من قوله ان هذا الحاكم عينه قوّض جملة من كنـائس السريان واضطرّ طائفةً منهم الى الاسلام فأسلموا واخذوا في الانتقاص ومـا زالوا هكذا حتى تبعوا الاقباط في لغتهم وعاداتهم كما سبقوا وتبعوهم في مذهبهم واستبدّ الاقباط ببقيَّـة كنائسهم ولم يعودوا يجسرون ان يدّعوا بها او يتداخلوا بشؤونها وأوقافها

وبالرغم من ذلك كلّه فقد بذلنا جهدًا جهيدًا في التنقيب عن الكنائس السريانيَّة القديمة واهتدينا بعد العناء الجزيل الى الوقوف على سبع كنائس جليلة للسريان عثرنا على اسمائها لدن مطالعتنا التواريخ الصحيحة واستقرائنا الحواشي التاريخيَّة الملحقـة بالمخطوطات السريانيَّة القديمة وها اننا نسرد اسماءها نقلًا عن اولئك الكتبة الثقـات وعن تلك الاسفار النادرة المثال

فقد كان للسريان في فسطاط (١ مصر كنيسة كبيرة باسم مار يوحنا على ما ورد في مخطوط مكتبة لندن (عدد ٢٤٣) المنسوخ سنة ٨٦٢ م في كنيسة مار يوحنا بفسطاط مصر

وكان السريان كنيسة ثانية في الفسطاط على اسم والدة الله على ما ورد في حاشية عُلّقت على تاريخ كتاب ميامر يعقوب السروجي (عدد ٦٣١ من فهرس مخطوطات لندن) هذا تعريبها «ارسل هذا الكتاب شمعون بن قرياقس التكريتيّ . . . الى كنيسة والدة الله التي تخصّ التكريتيين في فسطاط مصر». وورد في المخطوط (عدد ٣٣٦) ما شرحهُ «وقف ابن سهلون هذا الكتاب وكتابين آخرين . . . لاستعمال كنيستنا في الفسطاط. على ان المؤرخ الرهاوي السرياني صرّح بوجود كنيستين للسريان في الفسطاط ابتناهما اثناسيوس ابن جوميا الرهاوي السريانيّ قال ما تعريبهُ :

« ان عبد الملك بن مروان + ٧٠٥ استدعى الى دمشق اثناسيوس ابن جوميا لما بلغهُ عنه من طول الباع في العلوم ورسوخ القدم في السياسة وأوفده الى مصر صحبة عبد العزيز أخيهِ الفتى وأوصاه بهِ ونصبهُ مدبّرًا للقطر المصري واناط بهِ أمرَ الحلّ والعقد . ووكّلَ أنجاله على بلاد جوندا . فظلّ اثناسيوس وأسرته في مصر احدى وعشرين سنة وكان يجلّ الاكليروس ويكرمهم وصرف المساعي الطيّبة في انشاء الكنائس وبذل الصدقات لليتامى والارامل وشاد كنيستين كبيرتين في فسطاط مصر. . .» (٢

وذكر المقريزي كنيسة ثالثة للسريان في القطر المصريّ (٢ : ٥١١) قال :

«كنيسة بومنا (لعلّها تحريف يوحنا) هذه الكنيسة قريبة من السدّ فيما بين الكيمان بطريق مصر وهي ثلاث كنائس متجاورة احداها لليعاقبة (القبط) والاخرى لليزيان والاخرى للارمن »

وذكر المقريزي للسريان كنيسة رابعة على اسم ماروثا قال (ص ٥١٧) :

---

١) روى الشيخ ابو صالح الارمنيّ (ص ٢٨) «ان عمر بن العاص والعرب الواصلين معه . . . وصلوا الى قصر مبنيّ بالحجارة بين الصعيد والريف سُمّي بابلون . . . وسمّوا ذلك المكان الفسطاط بلغتهم وتفسير هذهِ اللفظة الخيمة. وكذلك مقر الجمع (الشمع) بمصر سمّوه فسطاط بابلون » وقال ميخائيل الكبير (ص ٤١٩) بابلون اعني الفسطاط وكذا ابن العبريّ (ص ١٠٣) (اطلب هنا (ص ٣٦)

٢) التاريخ الرهاويّ (ف ١٤٩ ص ١٨٩)

« كنيسة ماروطا (ماروثا) القدّيس بناحية شمسطا. وهم يبالغون في ماروثا هذا وكان من عظماء رهبانهم وجسده في انبوبة بدير بوبشاي من برّيّة شيهات يزورونه الى اليوم ». على ان دير الانبا بيشاي المذكور كان يخصّ السريان كما سترى »

واورد المقريزيّ ايضاً (ص٥١١) ذكر كنيستين في الخندق ظاهر القاهرة احداهما على اسم غبريال الملاك والاخرى على اسم مرقوريوس. ويتبادر الى الظنّ ان احداهما كانت للسريان لانهم يعظّمون مرقوريوس ويحتفون بذكره وقد اقاموا على اسمه ديراً في القطر المصري كما سترى

أمّا الكنيسة السادسة فقد ورد اسمها في مخطوط لندن (عد ٣٢٢) على هذه الصورة : « نُسخ الجزء الثاني من كتاب الصلوات الفرضيّة السريانيّة سنة ١٠٠٧م في برّيّة الصعيد في عهد داود ريش دير والدة الله.. والقس عبدا راهب كنيسة مصر » ولم يذكر الكاتب اسمها. وهذا الكتاب كان يستعملهُ كهنة هذه الكنيسة في صلواتهم القانونية

وكان للسريان كنيسة سابعة في سنموطية بمصر ذكرها الشيخ الفاضل جرجس ابن العميد ابي اليسر ابن ابي المكارم بن ابي الطيّب بن قروينة بن طيّب بن يوسف التكريتي السرياني مكمّل تاريخ ابي جعفر الطبري المطبوع سنة ١٦٢٥ في لندن (ص ٢٩٩ و٣٠٠) بقوله :

« وفي ايام الآمر بالله (١١٠١–١١٢٠) قدم من تكريت رجل نصراني سرياني تاجر اسمه طيّب بن يوسف ومعهُ احمال كثيرة من... الحرير عمل الهند واليمن... فقدم للخليفة من اجودها... وانعم عليه بقرية من اعمال الجوف اسمها بجيدة مجاورة لدماص. ولمّا مات الخليفة الآمر بالله انتقل الشيخ طيّب وسكن سنموطية وتزوّج ورزق ولداً سمّاه قروينة ومات الشيخ طيّب ودفن بكنيسة سنموطية...

ثم استطرد المؤرخ :

« امّا قروينة فاشتغل بصناعة الكتابة وتصرف في الخدم الديوانية ورُزق ولداً سمّاه ابا الطيّب باسم جدّه. وكان كاتباً حاذقاً لبيباً ورحل الى القاهرة واجتمع بالاكابر... فاستخدموه صاحب ديوان العربية... واقام سبع سنين واشهراً. ورغب في الزراعات وكثرة المواشي... حتى صار ماله عشرين الف دينار... وكان له خمسة اولاد فصار منهم اربعة اساقفة واصغرهم ابو المكارم كانت له مواشي الزراعات وخلايا نحل تزيد على الف خلية. وتزوّج اخت المكين

سمعان بن كليل . . . من اهل ميكائيل بشو . . . وخدم سمعان بديوان الجيش في ايام الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ٥٦٩-١١٧٣ ثم ترك الخدمة وترهّب بدير ابو يحنس القصير ببرية الاسقيط بوادي هيب . وولد ابو المكارم بن ابي طيّب ثلاثة اولاد النجيب ابو الفضل والعميد بو الياسر والد المؤرخ والمخلص ابو الزهر . وتوفيت زوجته فترهب وتوفي سنة ٦٠٦-١٢٠٩ واستخدم العميد بو الياسر في ديوان الجيش موضع خالهِ المكين سمعان . وكانت سيرته بين العالم مثل سيرة الرهبان القديسين . . . واقام بديوان الجيش ٤٥ سنة ومات في صفر (٦٣٦-١٢٣٨) وتوفي الشيخ جرجس ابن العميد المؤرخ سنة ١٢٧٣ .

امّا الكنيسة الثامنة فقد شادها التكريتيّون على اسم مار بهنام الشهيد تيمّناً به لانه استشهد في أوطانهم . وموقع هذه الكنيسة في مصر العتيقة قرب مقبرة اللاتين في يومنا . وقد ذكرها مخطوط مكتبة برلين (عدد ٢٥٩ ص ٧٩٠) المنسوخ سنة ١٧٣٤م على هذه الصورة : «اوقف هذا الكتاب على بيعة القدّيس الشهيد . . . مار بهنام بمصر المحروسة » وتلي ذلك هذه العبارة : « نظر في هذا الكتاب . . . الراهب هنديّ بن اسحق الموصلي خادم دير مار بهنام المكوّن في محروسة مصر القاهرة سنة ١٧٩٦م » . وظلّت هذه الكنيسة في حوزة السريان حتى تولى ادارتها وخدمة شعبها الربّان الياس ابن اميرخان الدياربكريّ السريانيّ الكاثوليكيّ الذي اوفده الى القطر المصريّ في ٦ تشرين الثاني ١٧٧٤م السيّد غريغوريوس يُوسف قدسي مطران اورشليم († ١٧٩٧) كما يتّضح جليًّا من هذا الإعلام المحفوظ في خزائن الكتب بدير الشرفة وقد نشره جناب القيكونت فيليب دي طرّازي في كتابه « السلاسل التاريخيّة » (ص ٣٨١) واليك نصّهُ :

المجد لله دائماً

بسم الازليّ السرمدي الواجب الوجود الضابط الكلّ

غريغوريوس مطران اورشليم وابناء السريان وهو يوسف الحقير

اعلام لكلّ ناظر اليه وواقف عليه : انّا قد رقّينا ولدنا الحبيب الربان الياس ابن اميرخان الديار بكرلي من درجة القسوسية الى وظيفة الخورنة على مذبح القديس مار جنام الكائن بمحروسة مصر لكي يخدم حضرة اولادنا السريان المباركين القاطنين بالمدينة المذكورة بكافة لوازمهم الروحية . وصرّفناهُ في خدمة الاسرار الالهية ان يقدّس ويعرّف ويعمّد ويكلّل ويشح

ويتمّم جميع لوازمهم الروحية كما يجب من غير مانع. جعل الله ذلك عليه مباركاً. وقد تمّ ذلك بكنيسة السيدة بدير القديس مار افرام (الرغم بجبل لبنان في قرية الشبانية) في اليوم السادس من شهر تشرين الثاني سنة ١٧٧٤م»

فهذه الكنيسة قد اغتصبها الاقباط من السريان وبدّلوا اسمها الاصلي باسم مينا واستبدّوا بها استبدادهم بسائر الكنائس والأديار التي كانت تخصّ السريان في وادي النيل

١٠ اديار السريان في القطر المصري

امتاز السريان منذ تنصّرهم بالرغبة في التقشف والنسك والزهد في حطام الدنيا والانقباض عن الناس والانقطاع الى الله عزّ شأنه فانتشرت الطريقة النسكيّة في بلادهم منذ مبادئ القرن الرابع وبلغت اوج الكمال في القرون المتوسّطة وأسّسوا ديورة ومعابد شتى نبغ فيها انام اتقياء وجهابذة نبلاء اتّصفوا باصناف المعارف وامتازوا باحلى الخلال المسيحية فأولوا العالم فضلاً واستوجبوا أطيب الثناء والشكر

على ان السريان كانوا قد شادوا مائة واربعة وعشرين ديراً في سوريا الجنوبيّة وردت اسماؤها واسماء رؤسائها في مخطوط لندن (عدد ٧٥٤ ص ٧٠١—٧١٤) المنسوخ نحو السنة ٥٧٠ م وقد وقّع هؤلاء الرؤساء اسماءهم في تلك الرسالة باللغة السريانيّة الّا ثمانية عشر منهم فقط امضوا اسماءهم باليونانية

وكان للسريان في براري ما بين النهرين وضواحيها وجبالها كنائس عديدة وديورة شتى أخنى عليها الدهر وصارت الى الضعضعة والدمار خصوصاً بعد ظهور الاسلام.

وقد اورد القلقشندي ما يؤيد هذا الكلام بقوله(١: «وكان بالرها كنيسة عظيمة وفيها اكثر من ثلاثمائة دير للنصارى». قال في تقويم البلدان: «وهي اليوم خراب». يعني في اثناء الدولة الناصريّة. ثم عمرت بعد ذلك. قلتُ: وهي اليوم عامرة آهلة». وقد ذكر المؤرّخ الرهاوي عدداً من تلك الاديار وقال: «انهُ كان يعتكف فيها في القرن الرابع تسعون الف راهب(٢». وقد نشرنا على صفحات المشرق عدداً غفيراً من تلك

---

١) صبح الاعشى (ج ٥: ١٣٩)

٢) تاريخ الرهاوي (ف ٣٤ ص ٨٠١)

الاديار التي تفقّدناها بنفسنا ووصفنا ما كانت عليه من العزّ والشرف وما صارت اليه من الذلّ والدمار (١

امّا السريان الشرقيّون وهم الكلدان فقد ذكرلهم يشوع دناح صاحب كتاب العفّة زهاء مائة واربعين ديرًا أسّسها أئمة الرهبان في بلاد المشرق القاصية وفي فارس وبلاد العرب. وقد ذكر ايضاً توما المرغيّ النسطوري صاحب كتاب الرؤساء عددًا عديدًا منها. وكلا الكتابين نشرهما الاب بولس بيجان اللعازري سنة ١٩٠١ وقد حدث لهذه الاديار ايضاً ما حدث لاديار السريان الغربيّين من الحيف والتعدّي والخراب

ولم يكتفِ السريان بتأسيس الاديار في أوطانهم بل قصدوا القطر المصري للاخذ عن رهبانه كما ذكرنا وشيّدوا في براريه المقدّسة اديارًا كثيرة اشتهر امرها وذاع في الآفاق ذكرها لِما نجم عنها من الفوائد الدينيّة وما ابقته لعالم الادب من الآثار التاريخيّة. وها اننا نسرد ههنا اسماء بعض تلك الاديار التي وقفنا عليها ملتمسين بذكر ما جرى لها وما حلّ بها

اوّلًا ديرمار رومانس الكبير المعروف بدير قسين (٢ . حلّ فيه يعقوب البرادعي إمام السريان المنوفستيين وفيه لقي حتفه هو واصحابه كما ذكرنا آنفاً (عدد ٤)

ثانياً ديربو ساويرس اوّل بطاركة السريان المنوفستيّين الذي سار الى مصر كما ذكرنا سنة ٥١٩ واقام فيها تسع عشرة سنة يجول من دير الى دير حتى وصل الى وادي هبيب منهزماً (٣ ولمّا اخترمته المنيّة († ٥٣٨) شاد السريان فوق ضريحه ديرًا فخماً سمّوه باسمه تيمّناً. وقد ذكره المقريزي بقوله :

«كان ساويرس من عظماء الرهبان فعُمل بطركاً. وظهرت آية عند موته وذلك انه انذرهم لمّا سار الى الصعيد بانه اذا مات ينشقّ الجبل وتقع منه قطعة عظيمة على الكنيسة فلا تضرّها . .

---

١) اطلب مقالتنا في المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٧٦٠) ورحلتنا في طور عبدين (المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٥٦١-٥٧٨ و٦٦٢-٦٧٥ و٧٢٩-٧٥٤ و٨٢٥-٨٥٤)

٢) ميخائيل الكبير (ص ٣٦٥)

٣) المقريزيّ (٢ : ٤٨٩)

ولمّا تمّ ذلك . . . علم رهبان هذا الدير بان ساويرس قد مات فأرّخوا ذلك فوجدوه وقت موته فسمّوا الدير حينئذٍ باسمهِ (١

ثالثاً دير الزجاج درس فيه سيمون السرياني الذي تولى بطريركية الاسكندرية كما اوردنا آنفاً

رابعاً دير شعران ويُسمّى دير برصوما في حدود ناحية طرّا ذكره المقريزي (ص ٥٠١) وقال انه: « مبني بالحجر واللبن وبه نخل وعدّة رهبان . . . وكان يُعرف قديماً بدير مرقوريوس (٢ او مرقوره . ثم لما سكنهُ برصوما بن أتيان عرف بدير برصوما »

خامساً دير الانطونيّين . موقعه في قرية اناطون بالاسكندريّة كان مورد الكتبة وطلّاب العلوم السريانيَّة وكانوا يستقون من مناهل كتبه وادبائه قصده توما الحرقلي السرياني اسقف منبج في اوائل القرن السابع واكبّ فيه سنة ٦١٦ على تنقيح ترجمة العهد الجديد المنقولة من اليونانيَّة الى السريانية . وصار اليه كذلك يعقوب الرهاوي † ٧٠٨ وغيره من ائمة السريان واكملوا فيه علومهم . وقد ورد ذكر هذا الدير ايضاً في مخطوط لندن (عدد ٨٥٣ ص ٩٥٢) المنسوخ سنة ١٠٨١م على هذه الصورة : « رسالة كتبتها حقارتنا (لعلّه اثناسيوس الجمّال بطريرك السريان) الى دير الانطونيين والى ايسيدور وثاودور . . . مع نبذة من الرسالة التي كتبناها الى جماعة كنيسة الاسكندريّة »

سادساً دير الخندق . كان مشيّداً على جانب مصر على ما ورد في تاريخ مخطوط لندن (عدد ٣١٨ ص ٢٥٨) وهذا تعريبه :

« انتهى نسخ الكتاب سنة ١١٦٦م كتبه وجلّده الراهب ابرهيم بن فولوس القزاز بمساعي السيدة عزيزة مربّية الملوك ومضيفة الغرباء ومشيّدة المذابح ومؤسسة الكنائس . . . وقد نُقل هذا الكتاب من كنيسة السريان في نابلس . . . واشتراه الربّان عزيز البرطلي في دير الخندق على جانب مصر سنة ١٠٩٧ وهي السنة الاولى لفتح اورشليم الهائل » اعني على يد الصليبيّين

وذكره المقريزيّ (ص ٥٠٧) بقوله :

---

(١) المقريزي (٢ : ٥٥٦)

(٢) ورد ما يؤيد ذلك في مخطوط سرياني نُسخ في الدير المذكور سنة ١٣٦٥ م وهذا المخطوط يخصّ اليوم مكتبة الكلدان بماردين (عدد ٨٩) وفيه ان هذا الدير موقعه في جبل تورا وهي تصحيف طرّا

«دير الخندق ظاهر القاهرة من بحريها عمّره القائد جوهر عوضاً عن دير هدمه في القاهرة كان بالقرب من الجامع الاقمر حيث البئر التي تُعرف الآن ببئر العظمة وكانت اذ ذاك تُعرف ببئر العظام من اجل انه نقل عظاماً كانت بالدير وجعلها بدير الخندق. ثم هُدم دير الخندق في ١٤ شوال سنة ٦٧٨-١٢٧٩م في ايّام المنصور قلاوون. ثم جدد هذا الدير... وعمل كنيستين»

فمن قوله عوضاً عن دير هدمه نستنتج انّه كان للسريان دير آخر مجهول اسمه عوّضه القائد جوهر وابتنى دير الخندق عوضاً عنه

سابعاً دير مار ثاودور. كان موقعه في الجبل الغربيّ ورئيسه لاونطي السرياني على ما وصفه مخطوط لندن (عدد ٣٤)

ثامناً دير مار مايكيل. كان هذا الدير في برية ماريس وقد ورد اسمه في مخطوط لندن (عدد ٧٥٢ ص ٦٩٦) على هذه الصورة: «اعتنى بهذا الكتاب... متى وابرهيم التكريتيان وانتهى نسخهُ سنة ٨١٦ م في برّية ماريس في دير مار مايكيل في عهد قرياقس بطريرك السريان († ٨١٧) ومرقس بطريرك الاسكندريّة

تاسعاً دير الانبا مقاريُس. قال المقريزيّ (ص ٢: ٥٠٨):

«هو غير دير ابي مقار الكبير حيث كان يُرسم بطاركة الاسكندرية. وكان فيه من الرهبان الف وخمسمائة لا تزال مقيمة به... والمقارات ثلاثة اكبرهم صاحب هذا الدير ثم ابو مقار الاسقف»

وكان احد هذه الاديار الثلاثة يخصّ السريان وهو يبعد زُهاء ثلاث ساعات عن ديرهم الشهير المبني على اسم والدة الله. ويؤيد ذلك ما جاء في «كتاب المداريش صحّوها» المخطوط سنة ٧٩٨ م في برية الصعيد في دير الانبا مقاريس (١ واعتنى باستنساخه «الانبا يوسف رئيس دير السريان المعروف بدير والدة الله في الصعيد»

عاشراً دير الانبا فولا. كان الى جانب دير مار انطونيوس وكان يحتوي على مكتبة سريانيّة معتبرة فاستحلّه الاقباط واستبدُّوا بمكتبته. ويؤيد ذلك ما ورد في حاشية عُلّقت على كتاب اسحق النينوي النسطوري (٢ المصون في مكتبة لندن (عدد ٦٩٥ ص ٥٨٠) هذا شرحها:

«فليعلم اخوتنا الرهبان السريان القاصدون هذا الدير من بعدنا ان دير الانبا فولا القريب

---

١) اطلب فهرس مخطوطات لندن السريانية (عدد ٣٠٩)

٢) نشرنا اخباره على صفحات المشرق ١٢ [١٩٠٩]: ٢١٥

من دير مار انطون كان يخصّنا ايضاً وكان يشتمل حتى اليوم على كتب سريانيّة عديدة فضبطه الاقباط واستحلّوه واستبدّوا بكتبهِ ولم يتيسّر لاحد منّا ان يعارضهم او يحاججهم فيفكّه من يدهم ويردّه الينا . . . »

حادي عشر دير الانبا انطونيوس . انهزم اليه قسطنطين رئيس دير والدة الله في صعيد مصر تفادياً من قيل الرهبان وقالهم وتملّصاً من فتنهم وفيهِ قضى أَجلهُ وخلّف بعض المخطوطات السريانيّة (فهرس مخطوطات لندن عدد ٦٩٥)

ثاني عشر دير الانبا بيشاي . لهذا القديس اعتبار جزيل ومنزلة كبرى لدى السريان وقد زاره مار افرام السرياني على ما وصفنا وحادثهُ وظلّ السريان يكرمونهُ ويعزّون ذكرهُ حتى ابتنوا لهم ديراً على اسمه . وكان مولد بيشاي في قرية بصر تُدعى بسبنيا ورزق الله والديهِ سبعة ابناء كان هو اصغرهم ولمّا كبر وترعرع قصد برية شيهات (١ وزاول درس الكتب المقدّسة ثلاث سنوات ثم انزوى في مغارة حقيرة وانضمّ اليهِ كثير من الزهاد وضاع اريج قداسته في برية نيطرون وزاره مار افرام السرياني ومكث عندهُ اسبوعاً . ثم ارتحل بيشاي الى ماريس اي ثبائس واخذ يعلّم رهبانه عقائد الدين وتراءى له السيد المسيح وشجّعه على مواصلة اعمال التقشف ووعده بان سيكون له دير في الصعيد يؤمّه الكثيرون ويدعون باسمه . واقام القديس بيشاي في تلك البرّية ستين سنة غير السنين التي قضاها في ماريس وتوفي في ٨ آب وهو يقابل ٢ تموز (٢

ويظهر ان الانبا بيشاي أسّس اديراً اخرى . قال المقريزي (٢ : ٥٠٧) :

« الدير الاحمر يُعرف بدير ابي بشاي وهو دير لطيف مبني بالطوب الاحمر . وابو بشاي هذا من الرهبان المعاصرين لشنوده (شنودين) وهو تلميذه وصار من تحت يده ثلاثة آلاف راهب . ولهُ دير آخر في برية شيهات »

وقال في محلّ اخر (٢ : ٤٩١) :

---

١) برية شيهات تعريف ببرية الاسقيط والصعيد موقعها في وادي هيب وهو وادي النيطرون وتسمى ايضاً ميزان القلب كما عرّفها السريان بقولهم « ܡܒܘܕܐ ܘܡܫܟܐ ܕ ܐܒܐ ܚܕܐ ܕܡܫܟܐ ܘܫܡܫܬܐ » وكان في هذه البرية قديماً مائة دير ثم صارت سبعة . . . وقد خرج الى عمرو بن العاص من هذه الاديرة سبعون الف راهب بيد كل واحد عكّاز فسلّموا عليهِ وكتب لهم كتاباً هو عندهم » (المقريزي ٢ : ٥٠٨)

٢) اطلب سيرة القديسين طبع الاب بيجان بالسريانية ٣ : ٥٧٣ — ٦٣٠

« أُقيم على اليعاقبة (الاقباط) بنيامين بطركاً . . . فمرَّ الدير الذي يقال له دير ابو بشاي ودير سيدة ابو بشاي وهما في وادي هيب »

على ان هذا الدير الثاني المشيد في برّية شيهات كان في حوزة السريان على ما أيد المقريزي عينه (ص ٥٠٩) قال :

« دير بازاء دير بو بشاي . . . ملكته رهبان السريان من نحو ثلاثمائة سنة وهو بيدهم الآن »

فيتَّضح ممَّا ذكرنا ان السريان كان لهم دير في الصعيد على اسم الانبا بيشاي وقد ورد ذكرهُ في جملة من مخطوطات مكتبة لندن كمخطوط (عدد ٢٢٠) المنسوخ سنة ٨٢٤ ومخطوط عدد ١٤٧و٢٢٢ . وقد صرّح مخطوط لندن (عدد ٩٦١ ص ١١٣٩) المؤرَّخ في سنة ١١٩٩م باسم هذا الدير واختصاصه بالسريان. وعلَّق الناسخ على كتاب معانيث سويرا سنة ١٢٢٢ ما شرحه (عدد ٤٨) : « ونُسخ الكتاب في برية الأنبا مقاريس بدير والدة الله القريب من دير الانبا بيشاي » وورد ذكرهُ في مخطوط لندن (عدد ٣٧٤) المنسوخ سنة ١٢٩٢ ما تعريبه : « دير والدة الله في برية الصعيد بناحية دير الانبا بيشاي » . ولعمري لو لم يكن هذا الدير للسريان لما تصدّوا لذكرهِ وعرّفوا بكون موقعه قريباً من ديرهم الشهير المؤسس على اسم والدة الله

وقال المؤرخ رمزي نادرس القبطي في الجزء الرابع من كتابه « الاقباط في القرن العشرين » ما ملخصه :

« ثالثاً : دير انبا بيشواي . يبعد عشر دقائق عن دير ابي يحنّس كاما المشهور بالسريان يحتوي على كنيسة كبيرة متّسعة وعلى يمينها كنيسة الانبا اسخيرون وغربها كنيسة مار جرجس وعلى يسارها كنيسة الانبا بنيامين البطريرك الاسكندري . ويشتمل قصر هذا الدير على ثلاث طبقات بها كنيسة باسم العذراء وكنيسة باسم ميخائيل الملاك . . . واوقاف هذا الدير تقدَّر بمبلغ ٦٧٤٧٠ جنيهاً . . . مشتركة بالنصف مع دير السيدة وابي يحنّس كاما »

فبقوله « انه يبعد عشر دقائق عن دير ابي يحنّس كاما المشهور بالسريان وان اوقافه مشتركة مع اوقاف دير السيدة » يؤكد ان هذا الدير كان للسريان كما صرّحنا اعلاه

ثالث عشر : دير الانبا يوحنا الصغير . ورد ذكره في تاريخ مخطوط لندن (عدد ١٤٧) المحتوي على رسائل مار بولس بالسريانيَّة هكذا : « انتهى هذا الكتاب في حزيران ١٢٥٤ في دير الانبا يوحنا الصغير ابي المتوحدين في برية الصعيد بارض مصر . . . كتبه بهنام الراهب السجستاني . . . في عهد ديونوسيوس بطريرك انطاكية

(† ١٢٦١)ومار اثناسيوس بطريرك الاسكندريّة والربّان يشوع القمص رئيس هذا الدير الذي يخصّ السريان»

وقد جاء ذكر هذا الدير عينه في مخطوط مكتبة اوكسفرد ايضاً (عدد ٣٢ ص ٩٥) المنسوخ سنة ١٢٤٦م

رابع عشر: دير الاقليم. ذُكر في مخطوط لندن السرياني عدد(٨٣٢ص ٨٦٥)بما تعريبهُ : « انتهى تأليف القديس يوحنا الناسك المعروف بالشيخ سنة ١١٧٢م في برّية مصر داخل دير الاقليم بوادي بهري

خامس عشر : دير مريم العذراء والدة الله . هو غير دير والدة الله في الصعيد الذي سيأتي وصفه على حدة. وكان موقع هذا الدير في الجزيرة باقليم الاسكندرية على ما صرّح تاريخ مخطوط لندن (عدد ٩٥٣ ص ٩١٣) وهذا تعريبهُ : « انتهى نسخ الكتاب سنة ١٠٨١م في دير القديسة والدة الله بالجزيرة التي باقليم الاسكندرية بمساعي مار موهوب ومار فهد وابنيهما يوحنا ومنصور» . وقد ورد ما يحاكي هذا التعريف في مخطوط لندن (عدد ٢٢٥) المنسوخ سنة ١٠٨٩م

سادس عشر: دير مار يونان. وصفهُ مخطوط لندن السرياني(عدد ٧٨١ص ٧٦٦) المشتمل على «مجموعة الرهبان المصريّين» على هذا النسق «وقف هذا الكتاب اسحق ودانيال وشليمون الرهبان في دير السريان المعروف بدير مار يونان في ماريس . . . في عهد قزما (الثاني) بطريرك الاسكندرية ويوحنا [الخامس] بطريرك انطاكية † ٨٧٤» وقد ورد ذكره على هذا المنوال ايضاً في مخطوط لندن (عدد ١٠١٤ ص ١١٩٥) بقوله : « وقف هذا الكتاب مع تسعة كتب اخرى اسحق ودانيال وشليمون المترهبون في دير السريان المعروف بدير مار يونان في ماريس مصر سنة ٨٤٩ م »

سابع عشر: دير الانبا صموئيل. ويُعرف بدير القلمون وهو على مقربة من دير ابي مقار. كان من اجلّ الاديار وأوفرها عمراناً واكثرها ارزاقاً واملاكاً. ذكرهُ ناسخ النوافير السريانيّة على ما ورد في مخطوط لندن (عدد ٧٢ ص ١١) هكذا: « بسم الله رجانا. هذا الكتاب وقف مؤبد على دير القديس انبا صموئيل المعروف بالقلمون. كتب هذه الوقفية يوحنا الراهب السرياني بن ماري اوجين» وقد وصفه المقريزي (٢: ٥٠٥) بقوله :

« هذا الدير في برية تحت عقبة القلمون يتوصل المسافر منها الى الفيوم . . . بُني على اسم صموئيل الراهب (١ وكان في زمن الفترة ما بين عيسى ومحمد . . . وفيه قصران مبنيان بالحجارة وهما عاليان كبيران لبياضهما اشراق . وفيه ايضاً عين ماء تجري وفي خارجه عين اخرى وبهذا الوادي عدّة معابد قديمة ثم وادٍ يقال له الأُمَيلح فيه عين ماء تجري ونخيل مثمرة تأخذ العرب ثمرها . وخارج هذا الدير ملّاحة يبيع رهبان الدير ملحها فيعمّ تلك الجهات»

ثامن عشر : دير مار جرجس . ابتناه السريان الشرقيون اعني النساطرة على اسم مار جرجس وقد ذكره الشيخ ابو صلح الارمني (ص ٥٤) قال :

« دير النسطور على اسم مار جرجس وهو من العمارة الحسنة المحكمة ومن المستترهات المشهورة الموصوفة . وكان الشيخ ابو الفضائل النسطوري . . اهتمّ بعمارة ما تشعّث منه وجدّده احسن عمارة بالحجر المنحوت وكان فيه عدّة كبيرة من رهبان النسطور . . . ولهذا الدير ارض للزراعة ملك للدير . . . وصار هذا الدير الى القبط بمصر في بطريركية الانبا مرقس بن زرعة وهو الثالث والسبعون في عدد البطاركة وقدّس فيه . . سنة ٨٩٩ للشهداء . وسنة ٥٧٦ هجريّة ١١٨٠ م »

هذه ثمانية عشر ديراً ابتناها السريان في وادي النيل وثوى بها رهبانهم احقاباً كثيرة ولعلّ الباحث يقف على غيرها ايضاً متى أتعب خاطره وكلّف نفسه مشقّة التفتيش عنها في الأسفار القديمة والمخطوطات العتيقة . وفي ما اوردناه مؤونة كافية للاقتناع بما كان للسريان من الكلمة والاهمية ورفعة الشأن في وادي النيل

١١ً دير السريان الكبير في صعيد مصر

المشهور بدير والدة الله

كان هذا الدير متحفة الاديار السريانية في القطر المصري وكان غاصّاً بالرهبان الاتقياء الاذكياء الذين أفادوا المؤمنين بسيرتهم القشفة وأغنوا ارباب العلوم بمؤلفاتهم النفيسة ومخطوطاتهم النادرة . ويغلب على الظنّ انهُ أُسس قبل السنة ٦٠٣ على ما يُستفاد من مخطوط لندن (عد ٦٧٢) المنسوخ في هذا الدير العام سنة ٦٠٣م وهو يتضمّن ميامر يعقوب السروجي العلّامة الشهير . ويتّضح من مخطوط مكتبة باريس (عدد ٧٢ ص ١١) المنسوخ سنة ٧٢٠ م ان رهباناً سريانيّين وافوا من تكريت واشتروه — او ان شئت فقل فكّوه — من يد القبط بعد ما استولوا لهم اثني عشر الف

(١) لعله سموئيل او شموئيل مؤسس دير قرتمين بطور عبدين في اواخر القرن الرابع على ما ذكر ابن العبري في تاريخه الكنسي . اطلب المشرق (٦ [١٩١٣] : ٨٢٨) .

ذهب. وكان يثويه يوم عزّه مئات من الرهبان. وقد ذُكر في مخطوط لندن (عدد ٩٥٠ ص ١١١) المنطوي على اخبار القديسين ان سبعين راهباً سريانياً كانوا منقطعين فيه الى عبادة الله. وكان يزور هؤلاء الرهبان مطارنة اورشليم السريان حيناً بعد حين ويتفقّدون احوالهم. وظلّ هذا الدير الشهير على رقيّه وبسطته حتى سنة ١٥٩١ فصدّم اغناطيوس بطرس الرابع بطريرك السريان ان يتعهّد شؤونه ولكن المنيّة عاجلته وصرفته عن انجاز رغبته فأوفد الى رهبانه طائفة من المال اسعافاً لهم

والفضل في تعزيز هذا الدير عائد الى الرهبان السريان التكريتيين والى تجّارهم الذين كانوا يتوافدون اليه منذ القرن السابع حاملين اليه المخطوطات السريانية النفيسة. وكان يقصده ايضاً عدد كثير من الرهبان من ما بين النهرين وفونيقي وفلسطين وسورية وغيرها فيتزوون فيه او في ما جاوره من الاديار معتكفين على العبادة والقنوت. ومن جملة ذلك ان اثني عشر رجلاً وافوا الى هذا الدير من سورية في نيسان سنة ١٢٠٦ كما ورد في مخطوط لندن (عدد ٢٣)

وكان هؤلاء الرهبان يتشاغلون اثناء الفراغ من الفروض الرهبانية بالتاليف والنسخ يبيّضون ويسودّون وينقّحون. وكانوا يدرسون ايضاً اللغة القبطية ويتقنونها وقد نقلوا عنها شيئاً الى السريانيّة. وجاء في مخطوط لندن (عدد ٩٦٣) ما تعريبهُ عن السريانيّة: «كتبنا ما وجدنا في كتب كنيسة مار بطرس في عكّة وارسلناه مع الرّبان عزيز... وطلبنا سيرة مار فاخرم سواء كانت بالعربية او بالقبطية لننقلها نحن الى السريانية فلم نعثر عليها». هذا ما كتبهُ يوحنا السجستاني الراهب السرياني

وقد ادّى رؤساء هذا الدير ورهبانه خدماً جُلّى للدين والعلم معاً. وها اذنا نسرد ههنا اسماء بعض رؤسائه تخليداً لذكرهم مقتطفين شيئاً من اخبارهم عن مخطوطات مكتبتهم الشهيرة التي افردنا لها فصلاً خصوصيًّا:

١ اوّل من تولى رئاسة دير والدة الله على ما تيسّر لنا الوصول اليه هو ماروثا ابن حبيب الرئيس الكبير سنة ٧٢٠ م وقد وصفه مخطوط باريس (عدد ٢٧ ص ١١) على هذه الصورة: «صلّوا على التكريتيين الذين اشتروا هذا الدير من القبط باثني عشر الف دينار ذهب بهمّة ماروثا بن حبيب الرئيس الكبير». على اننا قلنا آنفاً ان هذا الدير كان قد تأسّس قبل السنة ٦٠٣ م فقول الناسخ «اشتروه» يدلّ على ان القبط

استحلّوه فسعى السريان بجمع مبلغ من المال واسترجعوه

٢ً المطران سويرا قرياقس . عُهدت اليه رئاسة هذا الدير سنة ٧٧٣م على ما صرّح به مخطوط لندن (عدد ١٠٣٣ ص ١٢٠٠)

٣ً الانبا يوسف . أُنيطت به الرئاسة على هذا الدير سنة ٧٩٨ م كما ورد في مخطوطات لندن (عدد ٣٠٩)

٤ً ابن عيدي . رئيس دير والدة الله . كذا ورد اسمه في مخطوط لندن (عدد ٧٨١ ص ٧٦٦) المنسوخ سنة ٨٦٦ م في عهد يوحنا بطريرك انطاكية ٨٤٧ (†٨٧٤) وقزما بطريرك الاسكندرية

٥ً القس يوحنا بن مقاري . عُقدت لهُ الرئاسة على هذا الدير نحو السنة ٨٩٤ م طبقاً لما ورد في مخطوط لندن (عدد ٥٦٨ ص ٤٥٠)

٦ً القس موسى النصيبيني . هو الذي سعى بفكّ هذا الدير من الرهن وارتحل الى بلاد السريان وجمع المخطوطات السريانيّة ونقلها اليه وقد عُقدت لهُ الرئاسة على هذا الدير نحو السنة ٩٢٠ وسنفيض في وصفه في الفصل التالي في كلامنا عن مكتبة هذا الدير

٧ً الاب صليبا . أفضت اليه الرئاسة على هذا الدير في عهد البطريرك ابرهيم الاول (٩٦٢—٩٦٣) طبقاً لما ورد في مخطوطي لندن (عدد ٣٤٧ وعدد ٣٥٢)

٨ً الاب داود . تولى رئاسة الدير سنة ١٠٠٧م على ما نصّ تاريخ مخطوط لندن (عدد ٣٢١)

٩ً الاب يوحنا . هو شقيق الاب داود سالفهِ . خلفه في رئاسة الدير بعد السنة ١٠٠٧ كما ذكر مخطوط لندن (عدد ٣٢٣)

١٠ الاب باسيل . أُنيطت به رئاسة الدير سنة ١٢٢٢ م في عهد القمّص الربّان يوحنا . وكان هذا القمّص رئيساً على دير آخر للسريان لم يذكر الناسخ اسمه (مخطوط لندن عدد ١١٩) . ولم نعثر على اسماء رؤساء هذا الدير في الفترة التي تخلّلت ما بين السنة ١٠٠٧ والسنة ١٢٢٢

١١ً الربّان يشوع القمّص . تولى امور الدير منذ السنة ١٢٣٧م على ما صرّح بهِ مخطوط لندن ايضاً (عدد ١٧٧) حتى السنة ١٢٥٤ على ما ذكر مخطوط لندن ايضاً

(عدد ١٤٧ ص ٩٤) وكان اصله من زرجل قرية قريبة من حصن كيفا على دجلة

١٢ً عبد المسيح القسّ. ذكرهُ مخطوط لندن (عدد ٥١٠) هكذا : « عبد المسيح رئيس دير سيدتنا بالبرية المقدسة المعروف بدير السريان سنة ١٤٨٣م في عهد الانبا متاوس بطريرك الاسكندرية »

١٣ً المطران ساويرس قرياقس. ذكره مخطوط لنـدن (عدد ٣٩٩) هكذا : « انتهى هذا البيتكاز (حمد لله) وقد نسخهُ رئيس الدير ابونا القدّيس . . . المطران مار ساويرس قرياقس من جبل لبنان من مقاطعة طرابلس . . . جرى ذلك في دير والدة الله ببرّية الصعيد الذي يخصّنا نحن السريان المحسودين وذلك سنة ١٤٩٢ م وفي هذه السنة حدث وباء هائل وطاعون قتّال في ارض مصر فتك بعدد لا يُحصى من البشر »

١٤ً المطران ساويرس . تولى رئاسة الدير في ١٥ اذار ١٥١٦ طبقاً لما جاء في مخطوط لنـدن (عدد ٦٥) الـذي علّق عليهِ غريغوريوس مطران اورشليم الفـائدة المشار اليها

١٥ً الاب لعازر . انتُخب رئيساً للدير بعد المطران ساويرس وقد جاء ذكره في مخطوط لندن (عدد ١٠١٣)

١٦ً و ١٧ً قسطنطـين الاول وقسطنطين الثـاني. ذُكر اسمهما في مخطوط لندن (عدد ٦٩٥ ص ٥٨٠) على هذه الصورة : « نسخ الرّبان متى الطور عبديني كتاب اسحق النينوي . . . في عهد قسطنطين الاوّل لا الثاني. لان هـذا الدير تولى رئاسته رئيسان باسم قسطنطين . وقسطنطين الاول بعد مـا شبع من الرئاسة اعني من فِتَن الرهبان وتحزّباتهم . . . انهزم الى دير الاب انطونيوس مستصحباً هذا كتاب ماراسحق ليقرأ فيه ثم يردّه الى الدير . غير ان المنية بغتتهُ في ذلك الدير فظلّ فيه هذا الكتاب مع غيره من الكتب »

هذا ما تيسّر لنا الوقوف عليه من اسماء الرؤساء الـذين تولّوا امور هذا الـدير الشهير الذي لبث في حوزة السريان حتى القرن الغابر فاستحلّه القبط وملكوه ولعبوا بما بقي من آثاره السريانية . غير ان الزائر يرى فوق مذبح كنيسته حجراً نُقش عليهِ بحروف سطرنجيلية مـا شرحه : « شُيّد هذا البناء في عهـد القسّ موسى النصيبيني رئيس الدير » اعني في القرن العاشر . وقد شاهد هذه الكتابة وغيرها من الكتابات

السريانيَّة المنقوشة في جدران الدير حتى اليوم كثيرٌ من الزوّار فافادونا عنها

على ان المؤرّخ رمزي ثادرس القبطي احجم عن ذكر ذلك في وصفه هذا الدير المجيد كما سكت ايضاً عن وصف آثاره ومكتبتهِ الشهيرة. واليك ما كتبه عنه في مؤلَّفه « الاقباط في القرن العشرين» قال :

« جاء المستر تاتام السائح الانكليزي الى القطر المصري سنة ١٨٣٧ (والصحيح سنة ١٨٤٣) فاخذ ثلاثمائة قطعة من الخطوط اليدويّة المكتوبة على رقّ غزال خلاف عدد عظيم من الكتب المهمَّة التي لا تقدَّر قيمتها والتي كانت تُعَدّ الاثر الباقي للمكتبة القبطية(١ (والصحيح السريانية) في دير السريان. وقد نُقلت هذه التحف الى انكلترا. واول ما يراه الزائر دير السيدة بالبراموس ثم دير السيدة وابو يحنّس كاما المشهور بالسريان (٢ فدير ابو مقار فدير الانبا بيشاي »

« اما دير السيدة وابو يحنّس كاما (وهو دير السريان المعروف بدير والدة الله على ما وصفناه آنفاً) فيشتمل اولًا : على كنيسة للعذراء بالمغارة وبها ايقونة قديمة جدًّا تمثّلها وعليها رسم خروف من الاسفل. وثانياً : على مغطس في وسطهِ رسم صليب (هذا يوافق لتقاليد السريان وعوائدهم الطقسيّة التي اخذوها عن السلف وهي ان يضعوا في جرن العماد صليباً كما شهد لذلك مار افرام في مداريشه)قائماً على قاعدة مدرجة وعلى قمته المقدسة رسم العين وعلى جانبيهِ عمودان. ثالثاً : على كنيسة الاربعين شهيداً بسبسطية (الذين لهم مقام معتبر لدى السريان). رابعاً : على مقبرة الانبا مرقس مطران الحبشة. خامساً : على كنيسة العذراء ايضاً بها ايقونات كثيرة من العاج مطعَّمة في خشب الصنوبر وبينها ايقونة مار مرقس على حجاب الهيكل مع ايقونات ديوسقورس وسويرس وابي يحنس (الذين لهم الرتبة الاولى عند السريان). وفي هذه الكنيسة صور الاثني عشر رسولًا وعلى بابِ الهيكل منقوش بالتطعيم صور العذراء والمسيح ومرقس وديوسقورس وسويرس الخ. وبالخورس الداخلي مغطس اللقان (حصنا). وبه اعمدة من الرخام صغيرة الحجم والطول رُضعت منذ ثلاثمائة عام (اعني منذ كان

---

١) ان المؤرخ رمزي تادرس لم يورد خبر هذا الدير ومكتبته بدقّة وامانة اسوةً بالمؤرخين الثقة ذلك رغبة منهُ ان يخفي عن القرّاء ما كان للسريان من الاهمية والاعتبار سواء كان في القاهرة ام في براريّا وقد أشرنا في المتن الى ما ارتكبه من الشطط والغلط اما جهلًا او تجاهلاً منه

٢) تكفي هذه التسمية لتأييد حقوق السريان على هذا الدير

هذا الدير في ملك السريان وحوزتهم وهم الذين وضعوها) . وفي غربهِ غرفة المائدة وطولها خمسة عشر متراً في عرض متر . وفي جنوبه محلّ كان مختصاً لعبادة الانبا بيشاي (كما صرّح بهِ ايضاً نساخ الكتب السريانية) وفي الدير كنيسة صغيرة باسم ابي يحنس شرقي الشجرة المنسوبة الى مار افرام السرياني (وهو دليل آخر على ان هذا الدير كان للسريان) وقصر فخم ملاحق للبرابة العمومية ارتفاعه اثنا عشر متراً وبه خمس طبقات في اسفلها طاحون للدقيق . وفي الطبقة الرابعة كنيسة باسم الملاك ميخائيل ومكتبة الدير . وباب القصر . اما سور الدير فعلوّه اثنا عشر متراً وعرضهُ نحو ثلاثة امتار . اما اوقاف الدير فقيمتها ١٨٠٠ جنيهاً وايجارها ٤٥٠ جنيهاً مع اشتراكه بالنصف في اوقاف دير انبا بيشواي (لان هذا الدير كان ايضاً للسريان كما اوضحنا)

وذكر الاب ميشال جوليان اليسوعي في رحلته الى صعيد مصر سنة ١٨٨٢ (ص ٣٠ عدد ١٠) من النصّ الافرنسي ما تعريبهُ بتلخيص :

« لما وصلنا الى دير السريان استقبلنا رئيسهُ القمص ميخائيل وهو شيخ عجوز واحتفى بنا نائبهُ فأرانا في ساحة الدير البرّانية الشجرة العجيبة المشهورة بشجرة مارَ افرام السرياني وهي تحاكي شجرة تمر هندي لها اغصان فنواء تظلل البناء باسره وتتخلل اوراقها الخضراء عناقيد زهور جميلة . وروى لنا الرهبان القبط ان مار افرام السرياني لما دخل الكنيسة ليصلي ترك عصاه خارجاً على بابها ولما خرج من الكنيسة ألفاها قد اخضرّت ومنذ إذٍ جعل الرهبان يسقونها حتى اصبحت شجرة عظيمة وارفة الظلّ تكسو الدير كله وما برح الرهبان القبط حتى اليوم يتلون تحتها صلواتهم الفرضيّة عند غروب الشمس »

واردف الاب جوليان :

« ان دير السريان هذا يحاكي دير البرموس واغلب بنائه معقود بقناطر وقبب طبقاً لعوائد السريان ومعاهدهم »

وناهيك ان الاقباط بعد ما استولوا على هذا الدير الجليل جعلوه معهداً لرهبانهم ومدرسة لاكليريسهم فتخرّج فيهِ عدّة من بطاركتهم واساقفتهم وكهنتهم . ومما يستحقّ الذكر ان البطريرك غبريال السابع (١٥٢٦—١٥٧٠) ترهّب في دير السريان ببرية شيهات وعمّر ديري القديس انطونيوس والقديس بولا بعد دمارهما وكانا يخصّان السريان كما ذكرنا

وفي عهد يوحنا الـ١٧ (١٧٢٧–١٧٤٥) انشأ جرجس السروجي السرياني امير قومه كنيستين في كل من الديرين المشار اليهما(١

ثمَّ ان غبطة السيد كرلس الخامس بطريركهم الحالي تلقى العلوم في هذا الدير سنة ١٨٤٤ ثم صار كاهناً وانتخب بطريركاً سنة ١٨٧٥ . وفي هذا الدير عينه تهذب الانبا اسحق مطران البهنساء وبني سويف وارتسم اسقفاً سنة ١٨٩٩ ثم مطراناً سنة ١٩٠٦

فيجدر بالطائفة القبطية الجليلة ان تؤدي للسريان شكراً جسيماً وامتناناً جزيلاً لان نفراً من بطاركتها واساقفتها تلقوا العلوم في ديرهم السرياني

١٢ مكتبة دير والدة الله السريانيَّة في صعيد مصر

كان السريان منذ اول امرهم مولعين بالعلوم مغرمين بالتأليف والتصنيف مشغوفين بنسخ الكتب وجمعها حريصين عليها حرصهم على اثمن الجواهر وأسنى التحف وقد ورثوا هذه الخلة الشريفة عن آبائهم وأجدادهم وملوكهم العظام الذين استنبطوا صناعة الكتابة وزينوا قصورهم الفخمة بالمكاتب المعتبرة كما ذكرنا . وكانت لهم مدارس شهيرة ومعاهد علمية كثيرة رضع فيها افاويق العلوم عدد عديد من افاضل الكتبة وصنفوا اسفاراً عديدة نادرة غدت دستوراً لمن جاء بعدهم . غير انه لسوء الحظ لم يصلنا من تلك الاسفار الاَّ النزر القليل ككتاب احيقار ورسالة مارا بن سرابيون . والسبب في ذلك ان السريان لما اعتنقوا الدين المسيحي ساقهم غلوهم بديانتهم الى اتلاف ما ورثوه عن اجدادهم من المتروكات العلمية لانطوائها على المبادئ الوثنية (٢

وزد عليه ان الملوك الوثنيين اتلفوا عدداً من تلك الاسفار كما افتعل ديوقلطيانس في السنة التاسعة عشرة لملكه اذ تقدم الى جميع البلاد الخاضعة لدولته بتقويض كنائس النصارى واحراق كتبهم (٣ بل افضى الامر بالمسيحيين الى احراق كتب الكنيسة المقدسة الالهية في عهد قسطنطين عينه على ما ذكر اغابيوس المؤرخ الرومي المنبجي في تاريخه . بل ان الغيرة الدينيَّة حملت السريان في العصور المتأخرة على القاء كتبهم للنار في بلاد العراق والهند وغيرها لاحتوائها تعاليم المبتدعين والاراتقة . على

---

١) تاريخ القبط (ص ٦٢٣)

٢) راجع ما ذكرناه هنا (هدذ ٤)

٣) تاريخ اوسابيوس (ك ٨ ف ٣ ص ٤٦٥)

ان السريان لمَّا هجروا المنوفستية واعتنقوا الايمان الكاثوليكي في قرقوش سنة ١٧٨٠ طرحوا في بئر كنيسة الطاهرة بالموصل جميع الكتب السريانية الحاوية شيئاً من تلك البدع. وكانت مجلدات كثيرة جدًّا تنطوي على مسائل مهمَّة واخبار تاريخية ومباحث علمية في كل فن ومطلب

ومما يدعو الى الاسف ان مكاتب السريان في عواصم سورية كانطاكية ودمشق خصوصاً لم يبقَ منها اثر. وقد اورد الكاتب المجيد حبيب الزيَّات في كتابه «خزائن الكتب في دمشق وضواحيها» فصلًا ممتعاً في مكتبة دير الشاغورة بصيدنايا التي كانت تشتمل على مخطوطات شتى سريانية وملكية ويونانية وغيرها افضت اللئامة بل الحماقة براهبات الدير الى احراقها واتلافها وقد روى جنابهُ الخبر في المشرق (١ [١٩١٠] : ٣٣٣)

وقد وجد حبيب افندي الزيات (ص ١١٨) مخطوطين سريانيين احدهما منسوخ سنة ١٤٣١م سلما من الحريق

وكان بعض هذه المخطوطات قدْ انتُهب وبعضها نُقل الى خزائن الكتب في اوربة والى مكاتب دمشق وغيرها. على ان السلطان عبد الحميد أذن سنة ١٩٠٩ للجنة من اعيان المسلمين وعلمائهم ففتحوا مكتبة الجامع الاموي بحضور البارون فون سودن الالماني والدكتور فيوله فعثرا على قطع متعددة من الاسفار المقدّسة باللغة السريانية الفلسطينية. ثم ظفر الدكتور بملحق لها ووجد صحائف كثيرة من الرقّ باليونانيَّة واللاتينية والسريانية نُسخت منذ القرن الخامس (١ (ص ٤)). وكان في دير القدّيسة تقلا ايضاً مكتبة سريانية احرقها احد اساقفة الروم الارثذكس لكرهه اللغة السريانية (ص ١٦٠) ولمَّا احترق الجامع الاموي سنة ١٨٩٣ اتّهم شيئاً من الكتب وتلف ايضاً منها شيء كثير في خريف سنة ١٨٦٠ (٢

اما المسلمون فان ضربنا الصفح عمَّا اخبرهُ كتبتهم عن احراق مكتبة الاسكندرية الشهيرة (٢ فقد ذكر ابن العبري في تاريخه السرياني المدني (ص ٣٦٢) «ان صلاح الدين الايوبي لما فتح مدينة آمد اي ديار بكر سنة ١١٨٣ م وجد في

١) اطلب المشرق ١١ [١٩٠٨] : ١٦١ و ٥ [١٩٠٢] : ٩٧

٢) المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٤٧-٥٧

المكتبة الف الف واربعين الف مجلّد(١ استحوذ عليها برمّتها ودفعها الى كاتبه القاضي الفاضل فحملها الى مصر

الى هذا الحدّ اتّصل السريان من الرغبة في العلم والتأليف وقد ظلّوا متمسّكين بتقاليد اجدادهم على رغم ما ألمّ بهم من الحيف والعسف وما انتابهم من الغير والآفات والنهب والسلب والحريق فتوفّرت لديهم خزائن الكتب المشتملة على نفائس التآليف ونوادر المخطوطات. وكانوا اذا رأوا الملوك والولاة يحاولون سلبهم خزائنهم يحتالون لها وينقلونها الى بلاد اهلها متمتّعون بالراحة والطمأنينة. وبناء عليه نرى جملة من اصحاب الهمّة والنشاط قد جمعوا عدداً كثيراً من هذه المخطوطات ونقلوها رويداً رويداً الى دير والدة الله الذي سبق آباؤهم فشادوهُ في صعيد مصر فاجتمع فيه في مدّة ليست بيسيرة الوفٌ من الاسفار السريانية تتضمّن شيئاً كثيراً من اسفار العهدين الاقدسين ومن الكتب المزورة والليترجيات والصلوات القانونية والقوانين البيعيّة والمقالات الدينيّة واللاهوتية والفلسفية والمنطقية والعلمية والتصانيف الكثيرة في الطبّ والفلك والطبيعيات والتاريخ والنحو الخ ممّا يدهش العقول ويشده الالباب ويضطر ذوات العالم للاقرار بحذق السريان ورسوخ قدمهم في اصناف العلوم

وهذه المخطوطات النفيسة يرتقي عهد نسخ بعضها الى القرن الخامس والسادس مما يندر وجوده اليوم في أعظم دور الكتب وأهمها. ومنها ما كُتب باصله السرياني لاستعمال الطوائف السريانية والمارونية والملكية والكلدانية ومنها ما نُقل عن اليونانية والقبطية والعربية الى السريانية

امّا الفضل في جمع هذه الكتب الثمينة النادرة فعائد الى القسّ موسى النصيبيني الذي تولى رئاسة دير والدة الله نحو سنة ٩٢٠ فتكبّد مشاقّ الاسفار وركب متن المخاوف والاقطار وجال في بلاد سورية وما بين النهرين والعراق بغية الافراج والتوسعة عن رهبان هذا الدير وكانت تراكمت عليهم ديون باهظة عجزوا عن تأديتها. فاضطرّ رئيسهم الغيور القسّ موسى ان يرتحل الى تلك البلاد ويتجوّل فيها مدّة ستة

---

١) كذا ورد الخبر فنرويه على علّاته

اعوام (١ متنقلاً من بلد الى بلد لا يفتر من الالحاح في استمداد الغوث لاسعاف الدير فتيسَّر له بعد جسيم العناء ان يوفي الديون ويوسّع على الرهبان ويخفّف عنهم وطأة الذلّ ويخلّد له ذكرًا طيبًا جميلاً

واغتنم هذا الرئيس الغيور الفرصة ليجمع اثناء رحلته الكتب الثمينة وينقلها الى ديره بصعيد مصر . وكان وصوله الى بغداد سنة ٩٢٧ (٢ فجمع اذ ذاك مائتين وخمسين مجلّدًا ضخماً من الصحف السريانية القديمة اشترى اغلبها بثمن وافر واستحصل قسماً صالحاً منها بمثابة هدية او وقف لديره (٣

وعام ٩٣٢ عاد القس موسى النشيط الى صعيد مصر ظافرًا غانماً حاملاً تلك الكنوز اليتيمة (٤ وانشأ لها قاعة خصوصية ونظمها تنظيماً محكماً فاقبل الرهبان على التقاط فرائدها واقتباس فوائدها وجعلوا ينقلون عنها كتباً شتى خطّوها بيدهم حتى اصبح عددها مع تعاقب الزمان يربو على الالف مجلّد . وصرف آباء الدير ورهبانه العناية في صيانة تلك الآثار فجلّدوها وجدّدوها . وقد قرأنا في مخطوط لندن (عدد ٣٧٤) المنسوخ في هذا الدير سنة ١٢٦٢ حاشية أُضيفت اليه فيما بعد هذا تعريبها :

«تجدّدت هذه الكتب وتجلّدت سنة ١٤٩٢م» ثم وردت فيه هذه الفقرة :

« انا العبد الحقير القس توما الماردیني لمّا دخلت دير العذراء بصعيد مصر رأيت في مكتبته صحفاً كثيرة مكوّمة بلا حساب ولا عدد فنظّفتها ونفضتها ورتّبتها وأحصيتها فكانت اربعمائة وثلاثة مجلّدات فرتّبتها في برج القلعة سنة ١٦٢٤ »

وقد صرّح الاب جوليان اليسوعي في رحلته الى هذا الدير (ص ٢٤ عدد ٧) انه كان يحتوي على برج فيه مكتبة ذكرها الاب سيكارد C. Sicard الرحّالة اليسوعي الشهير (ج٣ ص ٢٧٩) بقوله :

« ان العلامة يوسف السمعاني الماروني وكيل المكتبة الواتيكانية برومية توجّه سنة ١٧١٥ لزيارة اديار النطرون بصعيد مصر فاشترى جملة من تلك المخطوطات واستنسخ منها كتباً تعذّر عليه اشتراؤها لان الرهبان لم يكونوا ليستغنوا عنها ولو بوزنها ذهباً »

---

١) مخطوط لندن عدد ٣٦

٢) مخطوط لندن ٧٦٩ ص ٧٤٠ من الفهرس

٣) مخطوطات لندن عدد ٧٤٧ و ٧٨٨

٤) مخطوط لندن عدد ٩١١

وما عدا ما جمعه القس موسى فقد كان يقصد هذا الدير جملة من الرهبان السريان من اطراف سورية وفلسطين وما بين النهرين والعراق ولاسيما من تكريت كما اشرنا حاملين اليه كتبهم لتلاوة الصلوات او للمطالعة او لئلّا تأخذها يد الضياع او يثور ثائر الاكراد والاتراك فيعبثون بها ويحرقونها كما احرقها من قبلهم مَن ضارعهم في الهمجيَّة . وكان نفر من اولئك الرهبان يستعذب الاقامة في هذا الدير او في ما جاوره من اديار السريان او يعيّنهم البطريرك او الرئيس لخدمة النفوس في احدى كنائس مصر السريانية

ومن ثمّ فقد نُقلت الى هذا الدير الشهير عدّة صحف مهمّة من بلاد السريان كتكريت (٢٢٠) (١ وقرقوش (٣٢٩) وراس العين وقرقيسيا (٣٠٦ و٣٠٧) والرقّة (٣٣٩) وتلّ موزل وتلّ بسم (٢٤) ودنيسر (٢٢٦) والابراهيميَّة (٣٢٩) وباسَبْرينا (١٠٣٣) ودير مار ملكي (٢٢٦) وقلّث (٣٠٢) وقرى طور عبدين (٨٤١) وتلّ كمْرى (٤٠) وحصن كيفا (٨٣) (٢ وبعيتل بحمص (١٣٥) وحارستا (٥٢٩) وحلوجا بسروج (١٤١) وسجستان (١٤٧ و٤٦٩) والرها (١٦٩ الخ) وزرجل (١٨٩) والمعدن (٢٢٥) وبَلَد وسنجار (٢٤٣) ورعبان عند الخابور (٢٩٥) وحصن زيد (٣٢١) ومرعش (٣٢٣) ودير زغل بتدمر (٥٨٥) وطورلاها بانطاكية (٦٢٦) وكنيسة القيامة ودير السيدة باورشليم (٦٢٩) ونابلس (٣١٨) وعكّة (٩٦٣) والبقاع (٣٩٣) الخ الخ

ومن هذه المخطوطات ما نُسخ في دير والدة الله عينه كما ألمعنا كمجموعة للرهبان (٧٨١) نُسخت سنة ٨٢٣ وقس عليها المخطوطات (١٧٦ و ١٨٩ و ٢٠٩ و ٢٢٨) وغيرها

واوّل من احسّ بهذه التحفة الثمينة كان الاحبار الرومانيون فاوفدوا الى القطر المصري بادئ ذي بدء القس الياس اليسوعي الماروني فاستحصل عددًا نزرًا من الكتب

---

١) الارقام تدل على عدد فهرس الكتب السريانية المخزونة في دار الكتب الكبرى بلندن

٢) قد ورد ذكر هذه البلاد والقرى في المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٧٣٠ و ١٦-[١٩١٣] : ٥٦١ وما يتبعها

حملها الى رومية . ولما تولى رئاسة الكرسي الروماني اقليميس الحادي عشر اوفد سنة ١٧١٥ المونسنيور يوسف سمعان السمعاني العلّامة الشهير الى وادي النيل فاشترى قسماً صالحاً من هذه الاسفار السريانية ونقلها الى عاصمة الكثلكة وكتب في وصفها مقالةً رنّانة نبّهت افكار علماء اوربا ولاسيما الانكليز فنهضوا نهضة اليقظان وقصدوا هذا الدير وبذلوا كل غالٍ وثمين حتى اشتروا ما تبقّى فيه من الكتب وحملوها برمّتها الى لندن ونشروا فهرسها في ثلاثة مجلّدات وصرّحوا بما لها من الأهمية وما تضمّنته من الفوائد العلمية والتاريخيّة

ومن هذه الكتب النادرة ما اخذه بطاركة السريان عينهم او نقلوه الى بلاد اخرى فقد ورد في الجزء الثاني من خطب سويرا (عدد ٦٨٦ ص ٥٤٧) المنسوخ في دير شيلا بسروج سنة ٥٦٩م ان ميخائيل الكبير († ١٢٠٠) تصفّحه وعلّق عليه هذه الحاشية : « استحضرنا هذا الكتاب من مصر الى سورية وحتمنا ان يبقى مصوناً في دير برصوما بملطية في القلاية البطريركية ... كتبنا ذلك بيدنا سنة ١١٩٠ »

ومنها مخطوطات نُقلت الى دير مار مرقس باورشليم اخصّها واقدمها كتاب بيتكاز صلوات يرتقي عهده الى القرن الحادي عشر . وقد ورد فيه انه كان يخصّ دير والدة الله بصعيد مصر وان « القس موسى النصيبيني رئيس الدير نقل اليه من بلاد ما بين النهرين ثلاثمائة وخمسين مجلّداً سريانيًّا »

ومنها اسفار نُقلت الى مكتبة باريس كما يُستفاد من فهرسها المطبوع سنة ١٨٧٤ واخصها كتاب العهد العتيق (عدد ٢٧ ص ١١) نُسخ سنة ٧٢٠م . وقد ورد فيه ما شرحه : « وهبهُ لدير برية الصعيد في مصر رهبان تكريتيون يلتمسون الصلاة والدعاء لجميع التكريتيين الذين اشتروا هذا الدير من الاقباط بمبلغ اثني عشر الف دينار بمساعي ماروثا بن حبيب الرئيس الكبير »

ومنها كتب نُقلت الى برلين على ما ورد في فهرس مكتبتها المطبوع سنة ١٨٩٩ فقد جاء (في عدد ٨ ص ١٢) ان ذلك السفر وهو كتاب الانجيل كان يخصّ دير والدة الله في برية الصعيد . وقس عليه كتاب الهدايا لابن العبري المنسوخ سنة ١٣٧٤ « في دير والدة الله ام الحياة المعروف بدير الناطف فوق دير الزعفران ... » وقد نُقل

الى دير والدة الله بالصعيد ثم دخل في حوزة دار الكتب ببرلين

ومنها مخطوطات نُقلت الى اوكسفرد على ما ورد في فهرس مكتبتها المطبوع سنة ١٨٦٤ (عدد ٣٢ ص ٩٥) المشتمل على كتاب انجيل يوحنا ورد فيه ما شرحه : «انتهى انجيل يوحنا سنة ١٢٤٦ في دير الانبا يوحنا ببرّية الصعيد في عهد اثناسيوس بطريرك السريان المصريين . . . بأمر الاسقف مرقس . كتبه جبيب للربّان اسحق اخيه »

ومنها ما نُقل الى مكتبة كمبردج على ما جاء في فهرسها المطبوع سنة ١٩٠١ فقد ورد في العدد (٣٢٨٠) المنطوي على تفسير اعمال الرسل ورسائل مار بولس انهُ نُسخ في ٢٢ ايار ١٦٠٧م في برية الصعيد قرب واديّ نيطرون في دير والدة الله مريم المشهور بدير السريان . وهو ديرهم حقًا كما يصرّح بذلك سجلّ الدير بقوله : «أن تجّارًا تكريتيين اشتروه باثني عشر الف دينار ذهب . كتب هذه السطور غريغوريوس بهنام مطران اورشليم » ومن ذلك يتضح جليًا ان الاقباط كانوا يتنوون منذ القرن السابع امتلاك هذا الدير واغتصابه من السريان اصحابهِ وما برحوا يقلقون رهبانه ويُعنّتونهم حتى استحلّوه في السنين الاخيرة

ومنها اسفار نُقلت الى مكتبة ميلان بايطالية واخصّها نسخة نادرة المثال المكتاب المقدّس بالسطرنجيلية تتضمّن اسفار العهد العتيق برمّتها القانونية وغير القانونية واليك فهرس ما جاء في هذا المخطوط العجيب تكملةً للفائدة(١ :

« التكوين . الخروج . الكهنة . العدد . تثنية الاشتراع . ايوب . يشوع . القضاة . صموئيل الاول والثاني . الملوك الاول والثاني . الحكمة اي امثال سليمان . سفر الحكمة . الجامعة . تشبيد الانشاد . اشعيا . ارميا . رسائل ارميا وباروخ . رسالة ازميا . رسالة باروخ الاولى . رسالته الثانية . حزقيال . اسفار الانبياء الاثني عشر : هوشع . يويل . عاموس . عوبديا . يونان . ميخا . ناحوم . حبقوق . صفنيا . حجاي . زكريا . ثم دانيال . راعوث . سوسن . استير . يهوديت . ابن سيراخ . اخبار الايام الاول والثاني . رؤيا باروخ بن نريا المترجم من اليوناني الى السرياني . صلاة باروخ وهي ٨٥ فصلاً . عزرا الاول (السفر المدعو شلاتيل) . عزرا الثاني . كلام نحميا بن

---

(١) وهي النسخة التي طبعها بالنور والحجر الكاهن العلّامة تشريّاني (A. Ceriani) في ميلانو سنة ١٨٧٦ في مجلّدين

(٢) وردت فيه هذه التعريفة «تسابيح داود المفرقة من اللغة الفلسطينية وقد استخرجت من العبراني الى اليوناني ومن اليوناني الى السرياني»

حلقيا. سفر المقابيين الاول. الثاني. الثالث. الرابع في المقابيين واسهم. مسير على خراب اورشليم ليوسيفوس. ختمه الكاتب بقوله «انتهى كتاب المقابيّين وهو خمسة اسفار الثلاثة في المقابيّين والرابع في شموني واولادها والخامس في خراب اورشليم»

وقد ورد في آخره ما تعريبه: «هذا الكتاب يخصّ دير والدة الله في برية الصعيد ولا يجوز لاحد ان يخرجه منه ابداً» ثم ورد فيه ايضاً: «اذكروا ابا علي زيكري بن يوحنا الذي اشترى هذا الكتاب... ليطالعه الرهبان القاطنون دير والدة الله ببرية الصعيد». ثم جاء فيه بخطّ احدث من السابق: «اقتنى هذا الكتاب الراهب عبد المسيح بن هيتم بن داود... الدمشقي» ويليه ما شرحهُ جُلّد هذا كتاب العهد العتيق سنة ١٠١٦م جلّده يعقوب الخاطئ»

وممّا يقضي بالعجب ان بعض الكتب التي كانت في هذا الدير قد نُقلت او بالحري أُعيدت الى بلاد ما بين النهرين. من ذلك مخطوط سرياني يخصّ اليوم مكتبة الكلدان بماردين يشتمل على نسخةٍ من رسائل مار بولس واعمال الرسل والرسائل القاثوليقية كتبت سنة ١٠٦٢ للشهداء و١٣٤٦م موسومة بعدد ١٩ ورد فيها ما شرحه: «نُسخ هذا الكتاب في دير مرقوريوس بمصر في طرّا». ويلوح من بعض صفحاته ان ايدي النساطرة واليعاقبة تداولته. وقد عُلّقت عليهِ حواشٍ وتنبيهات تشير الى الطقسين النسطوري واليعقوبي

على ان في القاهرة حتى يومنا كتباً سريانية قديمة ذات قيمة واعتبار مخبأة في بيوتات الخاصّة او في بعض المكاتب والمتاحف. ومما يؤيد قولنا ان القس بولس سباط السرياني الحلبي صاحب المكتبة الخطية قد عثر في هذه السنة ذاتها على مخطوط سرياني يرتقي عهد نسخه الى القرن الثامن او التاسع يتضمّن الاناجيل المقدّسة حسب الترجمة الحرقليّة السريانية

١٣ً دير الشرفة والقطر المصري

قد أسدى السريان المصريّون الى دير الشرفة في لبنان عوارف جمّة ومبرّات شتّى أُحيت لهم فيه ذكرًا طيباً وثناء عاطرًا يردّده الجميع بجميم الشكر ويدعون لهم باجزل الثواب والاجر

على ان البطريرك اغناطيوس ميخائيل جرره (+ ١٨٠٠) مؤسس هذا الدير

المذكور في الخير ما كاد يستريح من المشقّات والضيقات العديدة التي تواردت عليهِ حتى أوفد سنة ١٧٨٥ الخوري شكرالله براغيث الحلبي لخدمة ابناء رعيّته في القاهرة وكتب اليه واليهم يستجديهم ويستعطفهم على هذا المعهد الحديث. فاجابوا الى طلبه من فورهم ومدّوا لهُ يد البرّ والمعروف (١. وجادوا عليه ايضاً بمخطوطات مهمّة نسخوها بيدهم او امتلكوها بما لهم في ذلك القطر. وقد شئنا ان نلخّص شيئاً من تلك الحسنات ونورد بعض تلك المخطوطات التي لا تزال حتى اليوم مصونة فيهِ فنقول :

ان اوّل من غرس في دير الشرفة أغراس الاحسان والفضل كان الخوري شكرالله براغيث فانه أوفد اليه في السنة ١٧٨٥ عينها اواني بيعيّة كمجمرة فضّيّة وحقّ بخور وصليب مطليّ بذهب ومصنفة وكتاب فرض سرياني (صصصلا) الخ. وجمع من كرم ابناء الطائفة كالخواجا حنا جروه شقيق البطريرك وغيره مبلغاً صالحاً أنفقه البطريرك في البناء وفي مشترى عقار للدير سنة ١٧٨٧. وحذا حذوه القس يوسف صبّي فجمع مالاً جزيلاً من السريان المصريين أوفده الى السيّد انطون الآمديّ النائب الرسولي († ١٨١٦) فأسس بهِ الغرف لسكنى الكهنة. وجادت الحاجّة مريم ارملة فرج الله مبارك كشاه فحبست في ١٣ تشرين الثاني ١٨٠٨ نصف دارها في القاهرة لدير الشرفة ووقفت النصف الثاني للرهبنتين الباسيليّتين المخلّصيّة والشويريّة. وفي ١٢ ايلول ١٨٢٢ اضطرّ السيد البطريرك اغناطيوس بطرس جروه († ١٨٥١) ان يبيع نصف الدار المذكورة ويشتري بقيمتها اراضي توت في رعشين بلبنان ويخصصها بوقفيّة مريم وزوجها. وهي اليوم معدودة من احسن املاك الدير واخصبها. وحذا حذو الحاجّة مريم المحسنة الخواجا جرجس اجقم والخواجا اسطفان شدياق فتبرّعا بمبلغ اشترى به البطريرك السابق الذكر ارض توت في بقعاثا في ١٠ ايلول ١٨٢٢

– وتبرّع السريان المصريون بمبلغ وافر اشتروا بهِ دارَين احداهما في درب الجنينة والاخرى في درب البرابرة ووقفوهما لدير الشرفة. ولمّا تداعيَتا سنة ١٨٨٤ كتب وجهاء الملّة الى السيد اغناطيوس جرجس شلحت († ١٨٩١) يلتمسون ان يخصّص كلتا

(١) اطلب في المشرق تاريخ دير الشرفة (١٨[١٩٢٠]: ٥٧٩-٥٩٥)

الدارين بوقف كنيسة مار الياس بمصر على ان يؤدوا عوضاً عنها لدير الشرفة ثلاثمائة ليرة افرنسيَّة ذهباً . فاجاب البطريرك المغبوط الى طلبهم . واشترى في آب ١٨٨٤ الخوري يوسف معرباشي رئيس الدير عقاراً جعلهُ وقفاً حسب نيَّة المحسنين الكرام.

واشترى السريان المصريون ايضاً ارضاً مشتركة بينهم وبين بطريركيَّة القبط الكاثوليك وقفوها بمساعي القس يوسف صبي سنة ١٨٠٩ لدير الشرفة . واتَّفق ان بطريركية القبط باعت الارض الموماً اليها فصرف السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري النائب البطريركي مساعيهُ في طلب حقوق الدير وقبض تسعين ليرة مصريَّة اوفدها الى رئيس الدير الخوري موسى سركيس فخصصها بوقفٍ على نفس المحسنين في ٢٣ نيسان ١٩١٠

امَّا المخطوطات المنسوخة في وادي النيل والمحفوظة في دير الشرفة فأشهرها :

١ً كتاب مزامير داود النبي نُسخ بحروف كرشونيَّة سنة ١٤٩٨ م في برية الصعيد على ما ورد في خاتمة صلاة سمعان العمودي ونصَّه « صححنا مقابلها هذا هذا على اصل صحيح واصححناه » نسخهُ موسى الخاطئ سنة ١٨٠٩اي١٤٩٨م في برية الصعيد . وهو يتضمن ما عدا المزامير بالعربية عدَّة طلبات وميامر سريانيَّة وصلوات عربية منسوبة الى ابرهيم القيدوني واثناسيوس وافرام وفيلكسين وشنوده واشعيا وسمعان العمودي . وذكر الناسخ « الطلبة السابعة ليوم السبت (وقال) انها جُمعت من الابصاليات القبطي » وهذا المخطوط الجليل ملكه سنة ١٧٥٧ م الشماس نعمة الله جروه وهو البطريرك ميخائيل مؤسس دير الشرفة

٢ً « كتاب البستان في اخبار الرهبان » تأليف القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم » ومنه نسختان في مكتبة دير الشرفة نسخ احداهما في مصر « الحقير في رؤساء الكهنة يوحنا سعيد . خوري مدينة مصر والقاهرة . ابن المرحوم الخوري عبدالله الشوير بالسعيد . القنسي بلداً والسرياني لغةً والكاثوليكي الروماني مذهباً . في سنة ١٧٦٩م » وقد وقفه ناسخهُ « الخوري يوحنا لدير مار افرام عين الزغم بلبنان سنة ١٧٧٧ » ثم نُقل بعد حريق الدير المذكور الى دير الشرفة سنة ١٨٤٠

٣ً « كتاب ميامر لاسحق النينوي » النسطوري منسوخ على رقّ بحروف عربية سبق لنا وصفه في مجلة المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٢١٩) في اول بابه (تشرين الاول)

سنة ١١٩٥ للشهداء و١٤٧٨م . وفي خزانة كتب دير الشرفة نسخة ثانية من هذا المؤلف «كمل نسخها في اوّل هتور سنة ٩٩٨ للشهداء» و١٢٨٢م . وقد وردت فيه هذه العبارة . «نُقلت هذه النسخة بدير القديسة الطاهرة مرتمريم بحنا مصر . . . من نسخة الاب القس غبريال بن فخر الكفاء . . . نقلها . . . جرجس الراهب القليوبي ابن القس اسحق ابن القس ابي نصر . . .» وقد ألحق الناسخ بهذا الكتاب ميمراً لمار افرام وخمس مقالات لسمعان العموديّ بالعربية

٤ً «كتاب البرهان في القوانين المكتالة والفرائض المعملة» وهو خمسون مقالة تأليف «ابي شاكر ابن الراهب . . . ابن المهذّب . . . خادم كنيسة السيدة مرتمريم . . المعروفة بالمعلّقة بقصر الشمع بفسطاط مصر سنة ٩٨٧ للشهداء وسنة ٦٦٩ للهجرة (١٢٧٠م) نسخهُ بحرف كرشوني في دير الزعفران الراهب جرجس الحلبي لابن عمته الربّان جرجس ابن المقدسي اليان الفتّال . . . في عهد البطريرك شكر الله الماردييني ١٧٤٥م»

٥ً «كتاب الاعتقاد الصحيح في تجسّد المسيح» منه ثلاث نسخ كرشونية في مكتبة الشرفة وهو «تأليف متروبوليت القدس الشريف مار غريغوريوس جرجس الحلبي» ورد في المقدّمة ما نصه : «ان السبب في اهتمامنا بهذا الكتاب هو انه لما كنا جائلين في مدينة مصر والصعيد بقصد زيارة مَدَبّر (كهنة) بريّة) آباءنا السوّاح القديسين وفي بعض خيريّات ومصالح امارة المكان المقدّس . . . باورشليم دخلنا الى أحد البيوت فاخذوا يحاجّوننا في مسئلة الدين فاخذنا بتأليف هذا الكتاب» وقد جاء في آخر هذا المخطوط «تمّ الكتاب . وكان ابتداؤه في محروسة مصر القاهرة . . . والمقصود منه الاخبار عمّا جرى بيننا وبين البادري انطون في بلد جرجا في صعيد مصر بحضور البادري بولس في بيت المعلم جرجس سنة ١٧٥٤م»

٦ً «كتاب المعلّم والتلميذ» نُسخ بحروف كرشونية سنة ١٧٢٧م . «عُني بجمعه البطرك انبا كرلّس ابن لقلق المعروف اوّلًا بالقس داود ورفيقه القس بولس البوشي . وهو ملخّص كتاب الاعتراف المسمّى كتاب الروس . . . صحّحه المعلّم ابو الفرج ابن الشيخ فخر الدولة ابي الفضل العسّال» . وهذا ابن لقلق تولى بطريركية الاقباط بامر الملك العادل بن الكامل فعانده المصريون وابطلوا بطريركيته وفرغ الكرسي تسع عشرة

سنة حتى تولى البطريرك سيوس وتوفي سنة ١٢٦١م فخلفه بنيامين فجرجس († ١٣٦٢م) فمتى († ١٤٠٩م) (١

٧ «فصول مختصرة في تثليث الاتحاد» ذُكر في هذه النسخة المكتوبة بحروف كرشونيَّة انَّها «عُملت بالقاهرة المَعزيّة لطالبها في اواخر سنة ٦٥٩ العربية (سنة ١٢٦١م) لابن العسَّال. وورد فيها نبذة تتضمن اسماء الآباء والمصنفين نقتطف منها ما يلي «الاب البطريرك انبا اثناسيوس الرسولي ... وانبا سويرس البطريرك الكبير بانطاكية سرياني اللسان والرئاسة. والبطريرك ابرهيم السرياني اللسان القبطي الرئاسة (٢ ... والاب حبيب ابن حرير (بالحاء المهملة) التكريتي اسقف تكريت.. المعروف بابي رابطة. والشيخ يحيى الاسكلاني صاحب كتاب حدث العالم الذي ناقض به فرقلس وارسطو القائلين بقدم العالم. وقيل انه نسطوري. والشيخ العالم... برهان النحلة اليعقوبية يحيى بن عدي († ٩٧٤). والشيخ ابو علي... عيسى ابن اسحق ابن زرعة تلميذ يحيى المذكور († ١٠٠٧) وتلميذه الآخر يحيى بن جرير (كذا) صاحب المقالة في الكاهن والكهنوت. والكاهن يعقوب المارداني صاحب كتاب «دعوة القسوس» الخ

٨ «شرح رسائل مار بولس» يرتقي هذا المخطوط الجليل الى ما قبل القرن الخامس عشر وهو خالٍ من اسم المؤلف. ومن التاريخ ويحتوي اولًا على سيرة مار بولس الرسول واعماله. وذكر الكاتب في القسم الخامس منه: «انه يشتمل على ثلاثة انحاء. فالاول على عدد فصول كل رسالةٍ قبطيًا وعلى كميَّة كلماتها في النص السرياني. ويشرحها المؤلف في القسم الثامن شرحًا لغويًا كقوله: «انتحل. يقال فلان ينتحل مذهب كذا اي ينتسب اليه» الخ. وتلي ذلك «رسالة ديونوسيوس الكبير الى القديس كليماتوس (اقليميس) الرسول تلميذ بولس السليح من اجل استشهاد بطرس وبولس الرسولين الطاهرين بمدينة رومية». وتعقب ذلك رسالة مار بولس الى اهل رومية ثم الرسائل القاثوليقية ثم الابركسيس. وتتخلل سطور الكتاب كلمات بحروف قبطيَّة. وورد في آخره «دلّال ما يجب قراءته في شهور السنة القبطيَّة.. على حكم الاعياد

١) اطلب صبح الاعشى للقلقشندي (٥: ٣١١ ٣١٢)

٢) هو البطريرك ابرام السرياني الذي اوردنا ذكره (عدد ٧ من مقالتنا هذه)

المرتبة في الفصول» وهو فهرس فصول القراءات لآحاد السنة واعيادها وتذكاراتها. وقد جاء فيه ذكر لسويرس اربع مرات احداها في شهر بابه ذكر اشارة الى دخوله ارض مصر. ويلي ذلك فهرس للاصوام مثل «ثلثة ايام نينوى وفصحهم. واسابيع الصوم واحد القيامة وجمعة الفرح التي تتلو الفصح المقدس. وسبوت وحدود الخمسين. . . وذكر مار افرام الزاهد والانبا افرهام السرياني الخ»

٩ «كتاب روضة الفريد وسلوة الوحيد» وهو مخطوط كرشوني «تأليف سمعان ابن. . . مقاره المترئس بدير القديس ابي يحنس ببرية الاسقيط». يتضمن اثني عشر فصلا. وقد ورد في المقدمة انه ينسب الى راهب من رهبان دير القديس ابي يحنس القصير. نسخه الربان قرياقس السرياني سنة ١٦٠٥م. ومنه نسخة ثانية في مكتبة الشرفة كتبها الخوري ابراهيم ابن الشماس زكريا الحدثي سنة ١٦٨٨م

١٠ «كتاب الاباحيث» تجاه ذوي الطبيعتين نساطرة وخلقيدونيين. منسوخ بحروف كرشونية ذو ٤٨٠ صفحة منسوق نسق سؤال وجواب بين يوناني وسرياني. جاء في اخرها فائدة بالسريانية هذا شرحها: «تولى سويرا بطريركية انطاكية في عهد انسطاس. . . ولما خلفه يسطنيان واخذ يضطهد الكنيسة (اليعقوبية) ترك سويرا كرسيه وارتحل معه جميع اساقفة سورية. . . وكانت رسامته على انطاكية سنة ٨٦٩ للبونان (٥٥٨م) (١ في تشرين الثاني. . . وصنف ثلاثة كتب يشتمل كل منها على ثلاثمائة رسالة». وبعد ذلك كتاب الناسخ رسالتين اوفدهما كرس الى نسطور وجاء في آخرها: «تمت الرسالة وما معها في ١٢ ايار ١٦٨٠م بيد هدايا بن شمو من قرية خوديده (قرقوش) بناحية اثور (الموصل). . .» وتلي ذلك نبذة هذا عنوانها «أوردة من كتاب البيان في تحقيق الايمان لعلماء القبط» ثم مختصر من «كتاب الصحائح في الرد على النصائح» لصفي الدولة ابن العسال. وهو تسعة اصول منطقية ودينية تعقبها اعتراضات واجوبة سماها الكاتب «ثمرات» ثم «بعض ملتقطات من علماء القبط منقولة من اوراق منتثرة» في المنطق. ثم «فصل من كتاب منارة الاقداس لابن العبري» ثم نبذة صدرها الكاتب بقوله: «اما بعد فقد تسألني بعض اخوتنا بالله احد رهبان الطائفة الافرنجية. . . ابونا جرجس الراهب الايسوعي الذي قدم الى دمشق. . . ان اجيبه عن

١) تولى سويرا بطريركية انطاكية دخيلا سنة ٥١٢ وتوفي سنة ٥٣٨

معتقدي اليعقوبية المشهور» وختم الناسخ كتابه بتاريخ سرياني هذا تعريبهُ . «انتهى الكتاب بيد هدايا سنة ١٧٩٠ م كتبه الشماس ابن القس عبد الجليل عبد الازلي...»

١١ً «كتاب الاب الفاضل ... ابي الفرج ابن الشيخ فخر الدولة ابن العسال» وهو منسوخ بحروف كرشونية سنة ١٥٩٤ م في قلعة المرأة شرقي ماردين

١٢ً «زجليات» لفضل الله الأبياري وابي السعد الابوتيجي . ومنه نسختان جميلتان في مكتبة دير الشرفة مخطوطتان بحرف قاعدي ظريف وعنوان كل رجلية بحروف قبطية واغلبها تتضمن مديح العذراء مرتمريم اليك على سبيل المثل مطلع الزجلية الثامنة عشرة:

يا ستّ العذارى مدحي فيك تجاره
يا ستّ العرائس وعمار الكنائس
مدحي في المجالس ما هو فيك خساره

١٣ً ونختم هذا الفصل بذكر مخطوط عربي فصيح العبارة لم يُذكر اسم مؤلفهِ ملكه القس ميخائيل ابن الشمّاس نعمة الله الملقّب بابن جروه سنة ١٧٥٧ مسيحية و ٢٠٦٨ يونانية وقد نُسخ قبل السنة ١٥٩٣ م . تنقصه الورقة الاولى . ثم عثرنا في المكتبة عينها على مخطوط آخر منسوخ في القرن السادس عشر اهداه جناب القنصل فيليب دي طرازي الى مكتبة الشرفة يشتمل على كتاب «روضة الفريد وسلوة الوحيد» يليه في آخره كتابٌ ثانٍ واذا هو نسخة كاملة لهذا الكتاب الناقص وهو يبتدئ هكذا :

«بسم الله الواجد الابدي الازلي السرمدي وبهِ نستعين»

«كتاب طبّ الغمّ وشفاء الحزن والهمّ تأليف بعض العلماء كتبه لاحد اصدقائه من محبي الفضيلة نفعنا الله بهِ امين»

«صانك الله من كل محنة وحجبك عن كل ملمّة . وجعلك من الصابرين على آدابهِ . الشاكرين الراضين بقضائهِ . الفائزين بفضلهِ . لمّا كان الحزن أعزّك الله داءً دوياً . ومرضاً وبيئاً . مفسداً للعقول ومخلقاً للنفوس . وكان كثيراً ما يعرض في عالم الكون والفساد لاسبابٍ نحن ذاكروها فيما يستأنف رأينا ان نتحفك (وهنا تبتدئ النسخة الناقصة ومما عرفنا انها نسختان لكتاب

واحد) بدوائنا الذي اخترناه لدفعه. وطبّنا الذي انتخبناه لعلاجه. وان ننبيك بما يسلّيك عن غمومك. ويشفيك من محزناتك وهمومك. ممتثلين لقول الرسول اذ يقول فليغفر بعضكم بعضاً. وليرحّم بعضكم بعضاً. ونحن نستعمل في كلامنا ثلاث طرق من العلم. احدها علم المشاهدة بالحواس. والثاني الاستدلال بالعقل وتحكيم الفكر. والثالث كلام الله تعالى الموضوع للاعتبار والتدبير. ثم نضيف الى ذلك باباً رابعاً نعلمك باخبار الماضين. وما لحق بالمصطفين المنتخبين. فلا تدع اعزّك الله درس كتابنا هذا. ولا تغفل عن قولنا ومواعظنا وآدابنا. فبالإدمان على قراءته. واستعمال قوارعه. وتمييز معانيه. ينصرف عن قلبك الغمّ والحزن...»

وورد في آخر المخطوط: «كان الفراغ من نسخها يوم الاربعا ثامن عشر بؤونه (حزيران) من شهور سنة 38... للشهداء الاطهار الموافق عام خمسون سه والف للهجرة. (١٦٤٨م) على يد الشماس برصوم... بن فضل الله بن... يوحنا النصراني اليعقوبي المنفلوطي.. نقله من نسخة الاب الفاضل... القمص غبريال الشهير... بابن منصور مرشد كاتب القلاية المعمورة الابوية المرقسية. وكان مشعراً... في ضيق نفس ويسأل الله تعالى افراج الكرب...»

ثم ورد بخطّ احدث زمناً: «طالعه الحقير يوحنا... بن برصوم بن ابو الفرج... سنة ١٠٠٢ هجرية ١٥٩٣م

١٤ً الطائفة الكلدانية في القطر المصري

ان الأمة السريانية تفرّعت منذ القرن الخامس للميلاد الى اربع فِرَق وهي الفرقة الملكيّة التي غيّرت طقسها ولغتها السريانية وبدّلتها بالطقس اليوناني واللغة العربية. ثم الفرقة السريانيّة الشرقيّة التي عُرفت بالفرقة النسطوريّة والكلدانية. والفرقة السريانية المارونية. والفرقة السريانية الكاثوليكية. وها اننا نفرد لكل من الطوائف الثلاث الاخيرة فصلاً نلخّص فيه حوادثها واخبارها في القطر المصري فنقول:

ان الطائفة السريانية الشرقية وهي المعروفة بالطائفة الكلدانيّة كان لها في غابر الازمنة عدّة ابرشيات عامرة في بلاد اثور وماداي واذربيجان والعرب ومغارب الهند والصين (١ وكان اساقفتها يخضعون لجاثليق المشرق. وظلّت معروفة بهذا الاسم حتى

(١) قد اورد توما المرجي النسطوري اسم اثنين واربعين اسقفاً للسريان النساطرة بينهم داود مطران الصين (ص ٢٤٥ من طبع الاب بيجان) ذكره طيمثاوس البطريرك (+ ٨٢٣) في رسائله المشهورة وذكر غيره ايضا عمرو بن متى في المجدل (راجع في المشرق ٣ [١٩٠٠]:

تهوّدت في بدعة نسطور فدُعيت نسطوريّة

وكان قوم من السريان الشرقيين يقطنون القطر المصري ويراجعون مطران دمشق (١ثم جُعلت مصر ابرشيّة خصوصية للسريان النساطرة ونُصب لهم فيها مطران في القرن الحادي عشر على ما اورد ماري المؤرخ النسطوري (ص١٢٥). وذكر اسقفاً آخر نسطورياً يُدعى مرقس (ص ١٣٨) وقد جاء في تقويم قديم للكنيسة النسطورية ان هذه الطائفة كان لها في القاهرة والاسكندريّة كرسيّان مطرانيّان وسبعة كراسي اسقفيّة. وقد عثرنا على اسم احد اولئك الاساقفة اوردنا ذكره آنفاً (عدد ٢)

وكان الرهبان السريان الشرقيون يختلفون تارةً فأُخرى الى وادي النيل ويزورون أصحابهم رهبان برّية الصعيد. وقد ذكرنا بعضهم ايضاً فيما سلف. ولا غرو انهم شادوا ثمّ بعض الاديار والمناسك. غير اننا لم نتوفق في بحثنا هذا للعثور الّا على دير واحد ابتنوه على اسم مار جرجس ذكره الشيخ ابو صالح الارمني كما قلنا (عدد ١٠)

وظلّ النساطرة على مجدهم وسؤددهم حتى القرون الوسطى فاخذوا في الضعضعة والانتقاص ودخل منهم قسم في الاسلام فأسلموا. وذكر ابن العبري في تاريخه السرياني المدني (ص ٢٠٠ من طبع الاب بيجان) انه في عهد الحاكم خليفة مصر († ٩٩٨ م) قُتل عيسى بن نسطور في مصر. وتولى مكانه فركسيموس (كذا) اليعقوبي وهو ابو العلاء فهد بن ابرهيم القبطي... وكان النصارى في ذلك العهد يتولون منصب الوزارة في الدولة المصرية العربية. وظلّوا كذلك الى عهد ابن العبري († ١٢٨٦) فحتم الخلفاء «ان لا يتولى الوزارة نصراني إلّا يهجر دينه ويَدِنْ بالاسلام». ولا ريب ان عيسى بن نسطور المذكور آنفاً كان احد الوزراء المشاهير في مصر

واوّل من بذل المساعي الطيّبة في عهدنا لتعزيز الطائفة الكلدانية في القاهرة كان غبطة البطريرك ايليّا عبو اليونان († ١٨٩٤) صاحب الايادي البيضاء الذي خلّف لهذه الطائفة ذكرًا حميدًا لا تزال تردّده حتى اليوم. وهو الذي وضع بيده سنة ١٨٩١ الحجر الاوّل لكنيسة مار انطونيوس ابي الرهبان في القاهرة وهي من أبدع الكنائس

٧٤٣و٨٤٥ و١٣[١٩١٠]: ٨٠٠ و ١٦ [١٩١٣]: ٧٦١ و ٢٠ [١٩٢٢]: ٩٢٩ فصولاً في اثار النصرانيّة في الصين

(١ اطلب تواريخ السريان المشارقة والمغاربة للقس بطرس نصري (١: ص ٥١١)

وأجملها وقد افادنا حضرة الخورفسقفوس جرجس ابرهمشا الفاضل ان السيدة هيلانة ارملة المرحوم انطون يوسف البغدادي تبرّعت بجميع ما يلزم لبنائها وألحقت بالكنيسة دارًا لسكنى الكهنة وشادت على نفقتها ايضاً مدرسة في شبرا باسم القديسة هيلانة يزاول فيها الدروس ثلاثون طالباً من فقراء الطوائف الشرقية الكاثوليكية واشترطت هذه المحسنة الكريمة ان يتولى ادارتها اخوة المدارس المسيحية. كافأها الله تعالى بافضل الاجور. ويبلغ عدد الطائفة الكلدانية في القطر المصري زهاء الف نسمة يدبر حاضرًا شؤونهم الروحية كاهنان برئاسة الحبر الجليل السيد بطرس عزيز النائب البطريركي

١٥ً الطائفة السريانية المارونية في القطر المصري

اصبح السريان الموارنة في القرون الثلاثة الاخيرة في مقدّمة الشعوب المسيحية الشرقية الذين تفقّهوا بضروب المعارف وارتحلوا الى بلاد المغرب فاخذوا عن امتها وحازوا اسماً شريفاً ومقاماً منيفاً. والى كتبتهم الاعلام يرجع الفضل في نهضة العلوم الشرقية ولاسيما الدينيّة في البلاد السورية والاقطار المصرية. فان نخبة منهم برّزوا بما وضعوه من التصانيف اللغويّة والتاريخيّة التي نهجت لعلماء المغرب منهاجاً فسيحاً للوقوف على اخبار السريان خصوصاً فكشفوا لهم كنوز آدابهم واوضحوا خبايا مخطوطاتهم وخزائن اسفارهم. فالحصروني والصهيوني والحاقلي في عاصمة الفرنسيس ونيرون والسماعنة وعواد في عاصمة الكثلكة. والدويهي والتوليّ والباني وفرحات في سورية. فهؤلاء ومن ضارعهم من فحول الكتبة قد سهّلوا الطرق لروّام العلم واصحاب البحث واوقفوهم على مكنونات اسفار الاوّلين. ويطول بنا المجال لو تحرّينا استقصاء علماء السريان الموارنة وكتبتهم وشعرائهم وصحافييهم الذين ملأوا بمقالاتهم الرنانة الجرائد والمجلّات العربيّة في سورية ومصر دَعْ ما امتازوا به من صفاتهم التجاريّة في بيروت ومصر واميركا (١ فاحرز قسم منهم ثروة معتبرة وفازوا بشهرة فائقة

ففريق من السريان الموارنة هجروا الوطن الى القاهرة طلباً المتجارة وطائفة صاروا

---

١) اطلب تقاليد فرنسا في لبنان (ص ٣٦ و ٣٧)

اليها هرباً من الاستبداد والعبودية فحلّوا على الرحب والسعة ونشطوا للعمل وتسابقوا في اكتساب العلوم حتى ظهر منهم الصحافي والشاعر والكاتب والطبيب والمحامي. ولسنا نخشى اذا قلنا ان السريان الموارنة كانوا اساس النهضة العلمية والآداب العصرية في الاقطار المصرية

واوّل سرياني ماروني تعهّد مصر للبحث والتنقيب عن آثار السريان كان القس الياس السمعاني اليسوعي كاتب البطريرك اسطفان الدويهي († ١٧٠٤) الطيب الذكر وهو الذي أوفد الى رومية ففرنسا سنة ١٧٠٠ ثم قصد برّية الصعيد وتفقّد دير السريان واستحصل شيئاً من المخطوطات السريانية أتحف بها المكتبة الواتكانية على ما اشرنا آنفاً

واشتهر بعده المونسنيور يوسف سمعان السمعاني مطران صور († ١٧٦٨) وكان نابغة عصره في اصناف العلوم والمعارف. قصد رومية سنة ١٦٩٥ طلباً للعلوم الكهنوتية وعمره يومئذ ثماني سنوات. وما كاد ينهي دروسه حتى فوّض اليه اقليمس الحادي عشر الحبر الروماني ان ينشئ فهرساً للمخطوطات الشرقية التي اتحف بها المكتبة الواتكانية نسيبه القس الياس المشار اليه. ثم أوفده الى سورية ومصر للبحث والتنقير عن الاسفار الشرقية القديمة فسار السمعاني الى القاهرة وقصد نحو دير والدة الله في الصعيد واشترى قسماً صالحاً من الكتب السريانية وغيرها استند اليها في وضع مؤلّفه المبتكر الذي سمّاه المكتبة الشرقية. وبذلك فتح باباً رحباً لعلماء اوربا للوقوف على مصنّفات ائمة المشرق ودرس اخبارهم وآثارهم. ونكتفي لوصف هذا الجهبذ الخطير بما كتبه اليه البابا بندكتوس الرابع عشر في رسالته المسطّرة بتاريخ ١٤ ايلول ١٧٤١ قال ما ملخّصهُ[1] «سُرِرنا لمّا عرفنا ان سالفينا اقليمس الحادي عشر واقليمس الثاني عشر اوفداكم الى اصقاع المشرق لتجمعوا المخطوطات اليونانية والسريانية والعربية.. وتيقّن اننا نتوقع الفرص لنجهر لك بعواطف اعتبارنا وعاطر ثنائنا وخالص تبجيلنا وشكرنا»(١

ولما عاد العلّامة السمعاني الى رومية حاملاً تلك الذخائر العلميّة الثمينة أخذ ينشر اخبارها ويصرّح بمضامينها وجزيل فوائدها فاستيقظ المستشرقون في فرنسا وانكلترا

(١) اطلب تاريخ سورية للسيد يوسف الدبس (الجزء الاخير ص ٩٥)

وبرلين وغيرها وجعلوا يتحيّنون الفرص للشخوص الى القاهرة وضواحيها طلباً لتلك الدرر النفيسة. وكان بودّ السمعاني لو يعود ثانية الى دير السريان في الصعيد وينتقي غير ما انتقاه من المؤلفات النادرة ويحملها الى رومية. لكنّ موانع شتى حالت دون انجاز بغيته الشريفة فبقيت مسئلة تلك الصحف في طيّ النسيان حتى سنة ١٨٤٢ فأقبل المستر تاتام السائح الانكليزي ونقلها الى لندن كما ذكرنا فغدت منذ إذٍ من أشهر دور الكتب وأغناها وأصبحت موردًا لطلّاب العلوم الشرقية ولاسيما السريانية

وقد احتوت هذه المكتبة السريانيـة التي كانت في دير السريان بالصعيـد على جملة مخطوطات صارت اليها من لبنان او كتبها السريان اللبنانيون اعني الموارنة فاليك شيئاً منها:

١ً انجيل سرياني (عدد ٨٦ من فهرس كتب لندن) منسوخ سنة ١٤٣٨ م في جبل لبنان المبارك في قرية العاقورة... كتبه الراهب الخوري ثادرس

٢ً مخطوط (عدد ١٢٣) ورد فيه ما شرحه: «صلّوا على يوحنـا ابن القس اسحق ابن القمّص جرجس... من جبل لبنان»

٣ً كتاب شرطونيات (عدد ٣٠٤) حسب استعمال كنيسة السريان الموارنة. «نُسخ في دير مار يُحنّا حراش سنة ١٧٠١ بيد الراهبة مريم بنت الخوري حنا من قرية درعون من بيت الشهالي في ايام سيدنا البطرك ابن الدويهي»

٤ً كتاب طقس العنيانات (حسمُثـا) وهي اناشيد سريانيّة للاعياد السيديّة (عدد ٣٣٣) منسوخ نحو سنة ١٥٤٠م «حسب طقس موارنة جبل لبنان المبارك»

٥ً كتاب ابتهالات (اتحصحا) (عدد ٤٩٣) نسخهُ القس موسى الراهب من جبل لبنان سنة ١٤٩٩م وكان هذا القس مقيماً بالقاهرة يخدم ابناء ملّته السريانيّة المارونية على ما يظهر

٦ً كتاب مار يوحنا المتوحّد (عدد ٥٧٢) منسوخ سنـة ١٥٨١م ورد فيه مـا شرحه: «فليُذكر القس متى من قرية قولباي ببلاد صوفنيا الساكن في دير الطوباوي مار مارون... دخل هذا الكتاب الى مكتبة مـار مارون سنـة ١٧٤٥م في عهد جورجي رئيس الدير... ومار قزما رئيس دير مغارة مصر (بانطاكية) ومـار زكريا رئيس الرامة... فليكن ذكر طيب الرهبان الشكريين الذين وضعوا هذا الكتاب

في كنيسة والدة الله بالصعيد »

٧ً كتاب مواعظ وميامر لاعياد السنة (عدد ٨٢٥) نُسخ سنة ١٣٢٦ وقد جاء فيه ما تعريبه : «هذا الكتاب يخصّ دير والدة الله في الصعيد . . . صلّ يا اخانا على تلميذك موسى الذي طالع هذا الكتاب ونقل منهُ ميمراً الى اللغة العربية سنة ١٤٩٦م وناسخ هذا الشرح هو لبناني من ولاية طرابلس »

٨ً سيرة والدة الله مريم (عدد ٩٦٣) واخبار قدّيسين نُقلت عن نسخة كانت محفوظة في كنيسة السريان بعكّا وقد جاء في آخر الكتاب : « طالعه الاسقف براس تلميذ مار فلكسينس اسقف حماة وطرابلس وحردين بجبل لبنان سنة ١٥١٠ م » . غير ان هذين المخطوطين الاخيرين منسوخان على ما يُبان بقلم سرياني يعقوبي لبناني لا ماروني

وكان اغلب السريان الموارنة يقطنون بادئ ذي بدء في دمياط وتولّى خدمة نفوسهم الرهبان الحلبيُّون واوّلهم القس موسى الشامي الذي قصد المدينة المذكورة سنة ١٧٤٥ . وعام ١٨٢٠ سُمّي القس انطون مارون الحلبي نائباً بطريركيًّا في القاهرة فشاد عام ١٨٣٣ ديراً للرهبان وكنيسة على اسم مار الياس في مصر العتيقة واشترى ارضاً للمقبرة وداراً في درب الجنينة حوّلها القس فرنسيس مقل الحلبي سنة ١٨٥٢ الى كنيسة

وعام ١٨٦٨ اقام البطريرك بولس مسعد القس جبرائيل صفير العجلتوني وكيلاً بطريركيًّا في القطر المصري فاشترى سنة ١٨٧١ ارضاً واسعة في درب الجنينة ابتنى فيها كنيسة على اسم «سيدة الخلاص» ورمّم في الزقازيق سنة ١٨٧٣ كنيسة جديدة للطائفة . وشاد عام ١٨٧٩ كنيسة على اسم مار جرجس في شارع شبرا اضاف اليها مدرسة وداراً للوكالة واستحصل كذلك في بورسعيد ارضاً وغرفتين خصّص احداهما للصلّى واوفد القس يوسف العجلتوني لخدمة الملة فيها . وانشأ كذلك كنيسة للموارنة في المنصورة ومصلّى في الخرطوم وتوفي في ٢٨ كانون الثاني ١٩٠٥

وساعد الاب جبرائيل الغيور حضرة الاب لويس الخازن الرئيس العام للرهبنة الحلبيّة (١ الذي تولى شؤون الطائفة في مصر سنة ١٨٧٩ واستنح شركة قناة السويس

(١ هو حاضراً السيد يوسف الخازن

ارضاً فسيحة باشر فيها ببناء كنيسة ودار للكهنة. وتولى بعد ذلك خدمة الطائفة سنة ١٩٠٤ الاب يواصاف الشدياق العشقوتي.

على ان السريان الموارنة اخذوا يزدادون رويداً رويداً في وادي النيل منذ اواسط القرن الخامس عشر. وذكر المؤرخون العصريون ان محمد علي خديوي مصر سأل الامير بشير الشهابي سنة ١٨٢٤ ان يرسل اليهِ رجالاً من لبنان يتولون غرس التوت في اراضي مصر لتربية دود الحرير. فاجاب الى طلبته واوفد اليهِ جرجس الزغد وابن عمهِ شاهين في ثلاثين من العيال المارونيَّة اغلبها من زوق مصبح فندرج منذ ذاك استعمال تربية دود القزّ في القطر المصري (١

واورد الياس الايوبي في تاريخ مصر (١ : ٢١٤) «ان السريان الموارنة كان لهم في مصر ثلاث مدارس ابتدائية الواحدة بدرب الجنينة والثانية بقنطرة الدكة بالازبكية والثالثة بشبرا. وهي من نوع الكتاتيب البلدية. ولكنها كانت أرقى منها مادّيًا. لان الطلبة كانوا يجلسون فيها على تخوت بدل جلوسهم فوق حصير على الارض كما كانت الحال في الكتاتيب»

ولما عظم امر السريان الموارنة وارتفع شأنهم في وادي النيل كتبوا الى غبطة السيد البطريرك الياس بطرس الحويك يلتمسون منه ان ينصب لهم مطراناً يتولى امورهم. ونهض اذ ذاك الكونت خليل دي صعب عميد الطائفة في المنصورة المشهور بكريم صفاتهِ واريحيَّتهِ وتبرّع بمبلغ مائتي الف فرنك لمنال هذه البغية الشريفة فما كان من غبطة ابي الطائفة النبيل الّا ان اجاب الى طلبهم واوفد اليهم سنة ١٩٠٥ السيد يوسف دريان الجليل وفوّض اليهِ ان يؤسس كنيسة كبرى وداراً للمطرنة. ولمّا وصل الخبر الجديد الى القاهرة طفق يبذل المساعي في ذلك وجعل يطوف في المنصورة وطنطا والمحلة الكبرى ودمنهور والاسكندرية والزقازيق ويتعهّد ابناء الملّة وينشطهم الى بذل الاحسان في سبيل هذا العمل المبرور فتوفّق الى مشترى ارض فسيحة بمبلغ سبعة آلاف ليرة مصرية مساحتها الفان وخمسمائة متر مربّع وانشأ فيها كنيسة فخمة سنة ١٩٠٦ ولبث يرعاهم بالغيرة والحزم حتى توفّاه الله في ٢٣ آذار ١٩٢٠

(١) اطلب تاريخ المقاطعة الكسروانية (ص ٢٥٤)

وفي القطر المصريّ في عهدنا نخبة من السريان الموارنة من ذوي الشرف واليسار والعلم والادب يشغل نفر منهم المناصب الرفيعة في الحكومة المصريّة ولدى معتمدي الدول الاجنبيَّة. ومنهم قسم صالح يتعاطى المحاماة والتجارة والتآليف الخ

وأشهر الاسر المارونية في وادي النيل اسرة الكونت خليل دي صعب والكونت سليم شديد والكومندور ميخائيل بك حشيمه وحبيب بك زين ومسكات. ومن وجهائهم في الاسكندرية عبد الله باشا صفير وجرجي ونصري اسود وغيرهما

ولهم كنائس معتبرة في القاهرة وفي الاسكندرية والمنصورة والزقازيق وبورسعيد والخرطوم. ويبلغ عددهم اليوم في وادي النيل عشرة آلاف نسمة بنيف

١٦ الطائفة السريانية الكاثوليكية في القطر المصري في العصر الحاضر

قد آن لنا ان نتبسَّط في الكلام عن الطائفة السريانية الكاثوليكية في وادي النيل. فقد كان للسريان المنوفستيين او اليعاقبة على ما صرَّحنا الحظّ الوافر في القاهرة وملحقاتها حتى القرن السابع عشر. فانضموا الى الاقباط وامسوا في عهدنا لا جماعة رسميَّة لهم ولا كنيسة ولا دير

ولما اخذ السريان ينضمّون الى امّهم الكنيسة الجامعة منذ القرن الرابع عشر أنشأوا طائفةً منتظمة تألف معظمها ممَّن ارتحلوا من بلاد سوريَّا وما بين النهرين فنما عددهم رويدًا رويدًا حتى تكوَّنت منهم طائفة لا ينقص عددها عن ثلاثة آلاف نسمة في القطرين المصري والسوداني. ومما قلناه آنفًا يتضح جليًّا ان السريان الكاثوليك سبقوا سائر الجماعات الكاثوليكية الشرقيَّة في الانحاء المصرية. وكانوا في اول امرهم يراجعون الكرسي البطريركي توًّا. وعام ١٨٦٦ قرَّر احبار الطائفة إلحاق الابرشية المصرية بالابرشية الحلبية. ثم رسموا في سنودس الشرفة المعقود عام ١٨٨٨ ان تكون مصر ابرشية قائمة بذاتها يرعاها اسقف خاصّ ويدبّر شؤون الطائفة في القاهرة وفي الاسكندرية والسودان

وها نحن موردون اسماء الرؤساء الروحيين الذين تولّوا خدمة الملّة السريانية في القطر المصري مستندين في ذلك الى ما كتبه جناب الفيكونت فيليب دي طرّازي في «السلاسل التاريخية» (ص ٣٨٠–٣٨٥)

١ ﴿القس نعمة قدسي الحابي﴾ كان هذا الآب الفاضل خبيراً بالعربية والسريانية والتركية. وقد درس العربية على الشيخ سليمان النحوي وعلى ابي السعود. وصنّف فيها شيئاً في الخطابة والمعاني والمنطق. وألّف يوم كان مسجوناً في قلعة آطنة سنة ١٧٠١ مع البطريرك اغناطيوس بطرس شاهبدين († ١٧٠٢) الصالح الذكر والمطران رزق الله وستة قسان كتاباً سمّاهُ «شرح الاجرومية للملّة النصرانية». وانتشر كتابه هذا قبل «بحث المطالب» تأليف العلّامة المطران جرمانوس فرحات. وتداولتهُ ايدي القراء ونقلوا عن نسخته الاصلية المخطوطة بقلمهِ والمصونة في مكتبة دير الشرفة نسخاً شتى منها نسخة في المكتبة الشرقية لدى الآباء اليسوعيين في بيروت ونسخة في حلب وخمس نسخ في دير المخلص للروم الملكيين. ونسخَ عدّة كتب منها كتاب منارة الاقداس لابن العبري (١ وكتاب اعمال الرسل ورسائل مار بولس بالتركية. وكتاب «مدرك النجاة ومحجة الفوز بالحياة في صدق الكنيسة المصطفاة» وكتاب «مختصر في الالهيات» والكتابان هما تأليف أُستاذه المفريان اسحق بن جُبير الذي نشرنا أخباره على صفحات المشرق(١١ [١٩٠٨]: ٢٨٦). ونسخ في القاهرة سنة ١٧١١ كتاب مزامير. وكتاب اناجيل. ومحاورة جرت بين القديس مكسيموس الراهب وبيرس بطريرك القسطنطينيّة للشماس عبد الله بن الفضل بن عبد الله الانطاكي وهذه النسخة تخصّ دير المخلص تاريخها ٢٧ تموز ١٧١٦ كل ذلك بحروف ظريفة انيقة. وعام ١٦٩٢ ارتسم الشماس نعمة كاهناً بوضع يد خالهِ المطران يشوع مصرشاه (†١٧١٥) وبعد ان قضى مع أصحابه ثلاثة اعوام في سجن آطنه أنقذهم المسيو فيريول السفير الفرنساوي فسار القس نعمة الى القاهرة سنة ١٧٠٦ وتولى خدمة السريان الكاثوليك فيها حتى سنة ١٧٣٠ فنُصب مطراناً لدمشق وتوفي سنة ١٧٤٠

٢ ﴿الخوري عبدالله سعيد﴾ تولى خدمة النفوس في مصر منذ السنة ١٧٣٠ الى ١٧٦٠

---

(١) من هذا الكتاب نسخة في دير الشرفة عنها نُقلت نسخة المكتبة الشرقيّة للآباء اليسوعيين في بيروت. وفي آخر النسخة الاصليّة يصرّح الناسخ بما نصه: «اخرجه من اللغة السريانيّة واعتنى به... الشماس مركيس بن يوحنا الدمشقي الزرباني سنة ١٦٩١ ونسخهُ الشماس عبدالله ابن الشماس نعمة ابن الخوري توما... واعتنى بكمالة نسخهِ... نعمة بن قدسي بالاسم شماس». وهو المذكور في المتن

٣ ﴿الخوري يوحنا سعيد﴾ هو ابن الخوري عبدالله السابق الذكر . وُلد في اورشليم وبعد ان رُسم كاهناً سار الى القاهرة سنة ١٧٦٠ وخدم فيها السرن الكاثوليك حتى سنة ١٧٧١ وقد ورد ما يؤيد ذلك في «كتاب البستان في اخبار الرهبان» الذي وصفناه (عدد ١٣ : ٢) وهو الذي نسخهُ بيده في القاهرة سنة ١٧٦٩

٤ ﴿الخوري الياس امير خان﴾ هو ابن فتح الله الديار بكري انضمَّ الى الايمان الكاثوليكي سنة ١٧٧٠ وأُنيطت به رعاية السريان الكاثوليك في القاهرة . وكان يتولى كأسلافه خدمة نفوسهم في كنيسة مار بهنام السريانية التي سبق لنا وصفها (عدد ٩) وبعد ان قضى ثمانية اعوام في مصر نُصب رئيساً على دير مار افرام الرغم بلبنان . ثم سافر الى رومية سنة ١٧٨٦ ونشر فيها كتاب الاشحيم (عسبحا) وعُيّن ترجماناً في اللغتين السريانية والعربية لدى الحبر الاعظم . ثم وجّهه الى اسبانية البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروه مع القس الياس دبّ الحلبي لصالح دير الشرفة

٥ ﴿السيد ديونوسيوس ميخائيل جروه﴾ اضطُرّ هذا الحبر النبيل الى الفرار الى الاسكندرية في ٣١ اب ١٧٧٨ على أثر اعلانه الايمان الكاثوليكي في حلب . واقام سبعة شهور في دار المعلم ابرهيم شدياق . واغتنم تلك الفرصة ليوطّد السريان الكاثوليك في الايمان القويم . وكان يودّ لو يتفقَّد احوال الطائفة في القاهرة على ما كتب في رسالته الموجهة الى رئيس البروبغندا بتاريخ ٥ تشرين الثاني ١٧٧٨ اذ قال :

« لا يمكننا الذهاب من الاسكندرية الى مصر لان فيها بطريرك للاقباط الذي يحبّ جدًّا البطريرك اليعقوبي . فاذا قصدنا مصر يزداد انكسار قلبنا . . . ولا نزال مقيمين في الاسكندرية مع شماسنا نقدّس ونصلي في بيت المعلم ابرهيم الشدياق »

وأوفد السيد ميخائيل من الاسكندرية الى رئيس المجمع المقدس قنطار بنّ بثابة هديّة . وفي ٢٧ نيسان ١٧٧٩ غادر ثغر الاسكندرية الى دمياط ويافا والقدس يتعهد ابناء طائفته القاطنين في تلك الاطراف . ثم عاد الى حلب في ١٢ اب ١٧٧٩ وارتقى الى السدّة الانطاكية باسم ميخائيل الثالث في ٢٢ كانون الثاني ١٧٨٢ وتوفي سنة ١٨٠٠

٦ ﴿السيد ايونيس نعمة الله الصدّي﴾ أعلن الايمان الكاثوليكي في ماردين سنة ١٧٨٢ وفوّض اليه البطريرك ميخائيل الثالث رعاية السريان في مصر فاقام فيها سنتين يسرس ابناء طائفته ثم شخص الى دير الشرفة سنة ١٧٨٤ وتوفي عام ١٨١٢

٧ ﴿الخوري شكر الله براغيث الحلبي﴾ قرأ العلوم في مدرسة البروبغندا ولمّا عاد الى المشرق نصبه البطريرك ميخائيل الثالث وكيلًا عنه في وادي النيل عام ١٧٨٥ فخدم الملّة خدمة نصوحاً وأسعف البطريرك ودير الشرفة كما وصفنا (عدد ١٣) وثابر على ذلك حتى سنة ١٧٩٣

وفي ٢٩ تموز ١٧٨٥ اوفد البطريرك ميخائيل الى ابناء جماعته القاطنين في القاهرة والاسكندرية ورشيد منشوراً يستلفت انظارهم لاسعاف دير الشرفة. ثم أرسل سنة ١٧٨٦ الزبان ايليا الى مصر لجمع احسان الى الدير المشار اليه

٨ ﴿القس يوسف ليان الدمشقي﴾ تولى خدمة النفوس في مصر مع الخوري شكر الله المذكور انفاً حتى سنة ١٨٠٤ ذلك نظراً لازدياد عدد الملة وغيرها. وقد عثرنا في دير الشرفة على رسالة أوفدها سنة ١٧٩١ وجهاء الطائفة في القاهرة الى البطريرك ميخائيل الثالث يستفتونه في مسئلة الاعياد والاصوام المفروضة. فأرسل اليهم البطريرك منشوراً أبوياً في هذا الصدد عنونه باسم الخوري يوسف ليان الدمشقي والخوري شكر الله

وكان قد فتح القس يوسف مدرسة للطلبة في القاهرة منذ سنة ١٧٩٠ وقد اتت بفوائد تذكر.

٩ ﴿الخوري بطرس جروه﴾ هو ابن شكر الله شقيق البطريرك ميخائيل الثالث. تولى رعاية النفوس في القاهرة منذ سنة ١٨٠٤ الى ١٨٠٩ ثم نُصب مطراناً على اورشليم سنة ١٨١٠ وتقلد البطريركية في ٢٥ شباط ١٨٢٠ الى وفاته في العام ١٨٥١

١٠ ﴿القس يوسف صبّي الحلبي﴾ عُهدت اليه خدمة ابناء الطائفة في القطر المصري في السنة ١٨٠٩ فبقي في خدمته الى السنة ١٨٢١ وهو الذي اسعف دير الشرفة وخلف في القاهرة عقاراً للطائفة

١١ ﴿الخوري يوسف سمنه﴾ اوفده البطريرك اغناطيوس بطرس جروه الى وادي النيل فرعى النفوس وخدمها اربعاً وعشرين سنة وتوفي عام ١٨٧٠

١٢ ﴿القس يوسف شمعونه الموصلي﴾ استلم رعاية النفوس في القاهرة منذ سنة ١٨٤٥ الى ١٨٥٢ ثم سافر الى ليفورنو وفيها قضى نحبه سنة ١٨٨٣

١٣ ﴿الخوري جرجس شلحت الحلبي﴾ خدم السريان في مصر سنة واحدة

وهي السنة ١٨٥٣ ثم عاد الى وطنه ونُصب مطراناً لحلب سنة ١٨٦٢ ثم ارتقى الى الكرسي البطريركي في ١١ تشرين الاول ١٨٧٤ وتوفي سنة ١٨٩١ .

١٤ ﴿ الخوري باسيل صعب الحلبي ﴾ تولى خدمة النفوس في مصر من سنة ١٨٥٣ الى ١٨٥٦

١٥ ﴿ الخوري اندراوس طرّازي الحلبي ﴾ فُوّضت اليه رعاية السريان في وادي النيل سنة ١٨٥٦ فخدمهم خمسة اعوام بغيرة وحزم وصرف المساعي في انشاء كنيسة جديدة للطائفة على اسم مار الياس النبي في درب الجنينة وساعده في ذلك الخواجات الياس ظاهر الحلبي وفرج الله موصلي . وسنّ الآباء ان يُقام في تلك الكنيسة سنةً فسنةً قداديس وصلوات راحةً لنفسي المسعفَين المشار اليهما ونفوس امواتهما اقراراً بفضلهما وجميلهما . اما الخوري اندراوس فقد أدركه الاجل سنة ١٨٦١ . ووقف بعض مخطوطات لدير الشرفة

١٦ ﴿ الخوري يوسف سكّر الحلبي ﴾ خدم النفوس في وادي النيل منذ السنة ١٨٦٢ وثبت في مهنتهِ الى السنة ١٨٧٩

١٧ ﴿ الخوري يوحنا طوّاف الموصلي ﴾ تولى رعاية الملّة السريانية في مصر خمساً وعشرين سنة وتوفي بشيخوخة صالحة سنة ١٩٠٤ وخلّف آثاراً حميدة في القطر المصري واورشليم وبيروت ودير الشرفة

١٨ ﴿ الخوري افرام أبيض الحلبي ﴾ تلقّى الدروس الكهنوتية في مدرسة الآباء اليسوعيين بغزير وسيم كاهناً سنة ١٨٧٧ وأُنيطت به النيابة البطريركية في القطر المصري في ٣١ آب ١٨٨٦ فبقي الى سنة وفاتهِ ١٩١٣ . واشتهر بمواعظهِ التي نشرها في خمسة مجلّدات وسمّاها « دليل الفردوس »

١٩ ﴿ السيد يوليوس باسيل قندلفت الحلبي ﴾ قرأ العلوم الكهنوتية في مدرسة الآباء اليسوعيين بغزير . وارتسم كاهناً سنة ١٨٧٦ ومطراناً سنة ١٨٩٣ . وعُهدت اليه النيابة البطريركية في القطر المصري في ١٥ شباط ١٨٩٥ فانشأ فيها في نيسان ١٨٩٦ جمعية خيرية لاسعاف الفقراء والمعوزين فنمت بمساعيه ومساعي رؤسائها الغيُر واعضائها الشهام . ثم عُيّن مدبّراً لابرشية دمشق وتوفي في دير الشرفة في ١ كانون الثاني ١٩١٤ . ومن آثار قلمه كتاب « نبراس الكاهن » وترجمة شقيقه المطران انطون

قندلفت وقد نشر منظوماته المعروفة «بالقيثارة الشجيّة في التسابيح الروحية». ووضع نبذة في قوانين الزواج كذيل لكتاب شقيقه «السراج الوهّاج»

٢٠ ﴿السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري المارديني﴾ درس في دير الشرفة وارتسم كاهناً سنة ١٨٨١ ومطراناً لبغداد سنة ١٨٩٥ وسُمّي نائباً بطريركيًّا للقطر المصري في ٣ ايلول ١٩٠٤ فدبّر الابرشيّة حتى سنة ١٩١٤ وسعى في استحصال الرخصة من الحكومة المصريّة في انشاء يا نصيب خيريّ يعود دخلهُ الى الجمعيّة الخيرية السريانية تستعين به لسدّ حاجات ذوي الفاقة. وبذل العناية كذلك في الحصول على ارض فسيحة في العباسية خُصّصت بدفن المتوفين من ابناء الملة

٢١ ﴿المونسنيور روفائيل جبري الموصلي﴾ أوفده السيد اغناطيوس افرام رحماني بطريركنا الجزيل الطوبى الى الاسكندريّة في تشرين الثاني ١٩٠٥ ليجمع شتات الملّة ويؤسس لها بيعة ودارًا للصلاة ولسكنى كاهن الرعية. فحلّ في اوّل الامر ضيفاً في دار بطريركيّة الاقباط الكاثوليك حيث اقام سنتين تمكن في اثنائهما من لمّ شعث ابناء الطائفة. ثم استأجر مكاناً سنة ١٩٠٨ جعل قسماً منه لاقامة الفروض الدينيّة والقسم الآخر لسكناه. وهو اليوم يسعى مع اعيان الملّة في مشترى بقعة ارض لبناء كنيسة ودار للنيابة البطريركية. وقد أقامه غبطة السيد البطريرك منذ السنة ١٩١٤ نائباً عامًّا عنه في القطر المصري

٢٢ ﴿الخوري جرجس ابرهمشا الحلبي﴾ تولى خدمة النفوس في القاهرة سنة ١٩٠٦ وابدى من اعمال الهمّة والغيرة ما أطلق الالسنة على شكره. واننا نثني أطيب الثناء على ما ادّاه لنا من الخدم في كلّ ما احتجنا اليهِ من اخبار طائفتنا العزيزة في وادي النيل في عهدنا الحاضر سائلين المولى ان يكافئه عنا بافضل الجزاء

٢٣ ﴿القس يوسف نجّاش الحلبي﴾ تلقّى العلوم في مدرسة الآباء اليسوعيين في بيروت واوفده غبطة السيد البطريرك الى القاهرة سنة ١٩١٢ ولا يزال يخدم النفوس في كنيسة مار الياس بدرب الجنينة حتى اليوم. على ان غبطة السيد البطريرك اظهارًا لعنايته الابويّة ومحبّته الخصوصية لطائفته السريانيّة في الانحاء المصريّة أوفد اليها في أيار ١٩٢٣ الى القاهرة بمثابة زائر بطريركي المونسنيور جرجس ستيته فاقام ثمّ حتى ساخ تموز ١٩٢٤. وفي اذار ١٩٢٥ ارسل السيد البطريرك الى القاهرة السيد يوليوس

بهنام قليان ليتولى رعاية الطائفة نيابةً عنه

هذهِ هي سلسلة الرعاة والآباء الذين تولّوا خدمة النفوس في القطر المصري وجعلوا مركزهم في القاهرة. واذا رمنا ان نخصّص الكلام عن السريان في الاسكندريّة قلنا ان الفضل في ذلك عائد الى غبطة ابينا السيّد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني الجالس سعيدًا فانه هو الذي انشأ للطائفة مركزًا في تلك الحاضرة وأوفد اليها المونسنيور روفائيل جبري الذكر آنفاً فاذاء المساعي في خدمتهم وتكبّد الاتعاب في سبيل نموّهم. ولما ازداد عددهم أرسل غبطة السيّد البطريرك القس جرجس حمّال ليساعدهُ في خدمتهم ايضاً. ولا يخفى انه ما عدا عاصمة الديار المصريّة ومدينة الاسكندرية يوجد عدد وافر من السريان الكاثوليك يسكنون اليوم في طنطا والمنصورة وسائر انحاء القطرين المصري والسوداني

وامتاز السريان المصريون بغيرتهم الدينيّة ومبادئهم الطيّبة واخلاقهم الكريمة واشتهر فيهم خصوصاً عيال ضاهر وموصلي وشدياق وابرهمشا وألطي وحمصي وبغدادي واسطنبولية وصالحاني تعاطوا التجارة وحصلوا على حظّ من الثروة وافر. وكان فرج الله موصلي في طليعة الجميع نفوذاً ونقوداً لدى الحكّام. واشتهر كذلك الخواجا يوسف بن جبرائيل شدياق ترجمان قنصليّة فرنسا في القاهرة وكان شيخ صيارفة مصر. ومن جملتهم ايضاً نذكر الكومندور جرجس بن يوسف بن انطون ابرهمشا الذي شاد في شارع الظاهر كنيسةً على اسم والدة الله سلطانة الوردية كرّسها عام ١٩٠٤ غبطة بطريركنا السيّد اغناطيوس افرام الثاني الجزيل الطوبى

وامتاز في الاسكندريّة بعوارفه الجمّة وحسناته الوافرة حضرة الكومندور سليم بن جرجس بن يوسف رباط وهو الذي يسعى اليوم في تشييد كنيسة لائقة بابناء الطائفة في تلك الحاضرة. وقد زانه الله بالعطف على البائسين والرفق بالمعوزين وهو لا يزال يشملهم بكرمه وسخائه مقتفياً في ذلك وصيّة الربّ عزّ وجلّ القائل «اما انت فاذا صنعتَ صدقةً فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك (متى ٦ : ٣). ومن الاسر السريانيّة المشهورة في الاسكندريّة أسرة بهنا وفتّال وشدياق ومخزومة الخ

ومن السريان الذين نبغوا بالعلوم والآداب في القاهرة يوسف بك شاهين الحلبي الذي صنّف مقالات ضافية في مواضيع شتى ورسائل شائقة نُشرت في المجلات

المصريّة . وقد عوّل غير واحد من المعجبين بنصّه ولهجته ان ينظموا تلك اللآلئ في كتاب ينشرونه بالطبع ضنًّا بها وحرصاً عليها . واشتهر كذلك الاديب يوسف بن اليان سركيس الدمشقي الذي صنّف كتاب «أنفس الآثار في أشهر الأمصار» ونشر كتاب «الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب» وعرّب روايتي «عاصر وشجعان» و«الرحلة الجوّية» و«مائة حكاية قصيرة» وأنشأ مقالات نشرها في مجلة المشرق . ووضع كتاباً يحتوي على فهارس أسماء الكتب العربية المنشورة بالطبع وأسماء مؤلفيها او ناشريها . وسيمثله الطبع قريباً على ما بلغنا

ويحلو لنا ان نختم مقالنا هذا بذكر ما جرى في الديار المصريّة للسيد يوليوس انطون سمحيري مطران ماردين قبل ارتقائه الى العرش البطريركي فانه بعد ما قضى مصالحه في القسطنطينيّة سافر بحراً في مركب عثماني الى رودس فتعرّضت له مراكب مصريّة لسبب الحرب الثائرة يومئذٍ بين السلطان محمود ومحمد علي باشا خديوي مصر . وساقته عنفاً الى الاسكندرية . ولما وصل السيّد سمحيري الى الثغر اوفد جواز سفرهِ الى المسيو ميمو القنصل الفرنساوي فاوفد من فوره ترجمانه فنقله من المركب وأركبه حصاناً وسار به الى دير الآباء الفرنسيسيّين . ثم توجه الى القاهرة لزيارة ابناء الطائفة فاستقبلوه كملاك هابط من السماء واغتبطوا برؤيته . وسأله الاكليرس القبطي الكاثوليكي والوجهاء ان يرسم لهم مطراناً واستأذنوا في ذلك البابا غريغوريوس السادس عشر فأجاب الحبر الاعظم الى التماسهم وكتب براءة رسولية فيها خوّل السيّد انطون سمحيري ان ينصب الاب ثاودورس جاد الكريم مطراناً للاقباط . فاحتفل برسامته بموجب الطقس السرياني في ٢٢ حزيران ١٨٣٢ . وكأنّه بذلك أعاد للسريان والقبط ما كانوا عليهِ في سالف الاحقاب من الاتحاد والاتفاق . واقام السيد سمحيري في القاهرة سنةً كاملة جمع في اثنائها من سخاء المؤمنين خمسة عشر الف قرش ساعدته على وفاء ديونهِ في ماردين (١

ولا يزال السريان في الاصقاع المصرية ناهجين نهج آبائهم وأجدادهم في احترام الدين ورؤسائه . وبسط كفّ الاحسان للمسكين تلافياً لشقائه . زادهم المولى الكريم فضيلة وفضلاً وسكب عليهم شآبيب نعمائه وآلائه (تمت)

(١) اطلب مقالتنا عن البطريرك انطون سمحيري في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٤٠١-٤٢٢)

فهرس

صفحة

توطئة ٠٥

٠١ علائق السريان الاولى مع المصريين ٠٥

٠٢ الهجرة النسكيّة بين المصريين والسريان ٠٦

٠٣ القديس اوجين والرهبان المصريون بين السريان ٠٨

٠٤ ظهور البدع في القطر المصري وامتدادها الى القطر السوري ١٠

٠٥ كتبة السريان المنوفستيين في القطر المصري ١٣

٠٦ اتحاد بطاركة السريان وبطاركة الاقباط ومراسلاتهم ١٥

٠٧ مبادلة السريان والقبط بالبطاركة ٢٢

٠٨ الطقس السرياني والطقس القبطي والحبشي ٢٥

٠٩ كنائس السريان القديمة في القطر المصري ٣٠

١٠ اديار السريان في القطر المصري ٣٤

١١ دير السريان الكبير في صعيد مصر المشهور بدير والدة الله ٤١

١٢ مكتبة دير والدة الله السريانية في صعيد مصر ٤٧

١٣ دير الشرفة والقطر المصري ٥٤

١٤ الطائفة الكلدانيّة في القطر المصري ٦١

١٥ الطائفة السريانيّة المارونيّة في القطر المصري ٦٣

١٦ الطائفة السريانيّة الكاثوليكية في القطر المصري